هدية الى المكتبة الازهرية

جمال العالم

٨٤٦ صفحة
١١٦٩٤ عمومية

تأليف

﴿ الشيخ طنطاوى جوهرى ﴾

مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية

« افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها وزيناها وما لها من فروج »
« وفى الارض آيات للموقنين »
« اولم ينظروا فى ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء »

قرآن شريف

٢١٤
٢٥

الطبعة اولى

بمطبعة الجمهور الكائنة بجوار دار الكتب الخديوية
(بشارع الخليج المزهر بمصر)

طبع على نفقة محمد مسعود محرر بجريدة المؤيد

جمال العالم

تأليف

﴿ الشيخ طنطاوى جوهرى ﴾

مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية

« افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها وزيناها وما لها من فروج »
« وفي الارض آيات للموقنين »
« اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء »
قرآن شريف

الطبعة الاولى

بمطبعة الجمهور الكائنة بجوار دار الكتب الخديوية
(بشارع الخليج المرغم بمصر)

طبع على نفقة محمد مسعود محرر بجريدة المؤيد

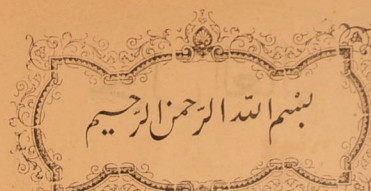

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين (وبعد) فقد تمنى واحد الاذكياء نادي يوم عيد الفطر سنة ١٣٢٠ هجريه فسألني في مسائل ذات بال لا تختص بعلم على حدته بل لها شعب تتشعب وفروع يرجع اصلها الى العقل فقال ما الدليل على وجود الله تعالى. فقلت له اذكر شكوكك وشبهاتك وانا انبئك بتأويلها ومخرجها فقال لم كثرت الشرور في العالم واين الرحمة ارى ان العالم خال من الرحمة واذا كان له صانع حكيم فاين هذه الرحمة الا ترى انا ترى الحيوانات يأكل بعضها بعضا ومأواها العذاب في الدنيا وهانحن نرى السباع في البر وكواسر الطير في الجو خلقت لها مخاليب وانياب ومناقير ملتوية دلالة على انها خلقت للظلم المحض. وهو اكل اللحوم وتعذيب النفس ولا

تسنى لها قط ان تأكل الحبوب ولا الحشائش بل اننا نرى الامم يقتل بعضها بعضا فماهو هذا العالم يموج بعضه في بعض وهو من اوله الى آخره متشابه في هذه القضيه فنبئني بتأويل ما فصلت ولا تجمل.

فقلت: اعلم ان الشكوك لا تعرض الا لمن وقف في نصف الطريق فلا هو من العامة الجهلاء ولا من اكابر الحكماء وانت الآن قرأت علوما اوقعتك في حيرة فيجب عليك ان تسعى لازالة هذه الشبه بحوز النهاية فيها وها انا اوضح ما التبس عليك

ان ماظننته منافيا للرحمة هو الرحمة بعينها. فقال وكيف ذلك فقلت ان الكرة الارضية حولها حيوانات محيطات بها من كل جانب ولا يحصى عددها وهي انواع شتى. ومن ذا يقف على تعدادها فقال نعم. فقلت وكل حيوان منها له اجل تنتهي حياته عنده وتبقى جثته في الخلاء ولا ريب ان الحيوانات التي تموت في الثانية الواحدة تبلغ الملايين واذا كان نوع الانسان يموت منه في الثانية الواحدة نحو اثنين وسبعين نفسا ويضاعف عدده في كل خمس وعشرين سنه فاذا كان على سطح الكرة الف ومائتا مليون من النفوس البشرية فانه يولد ويموت مثل هذا القدر كل خمس

وعشرين سنة مرة فما بالك بتلك الحيوانات التي لانهاية لها معروفه ولا اعداد لها موصوفه فلو تركت جثثها في الفضاء شهرا واحدا لامتلاء الهواء بالعفونات وازدحم الجو بالمكروبات واختنق كل حيوان وانسان ونبات وخلا سطح الكرة الارضيه من كل حي ونام. فانظر يا اخي كيف حسن هذا النظام وازيلت هذه الغمم وذهبت هذه الرمم بان وضع في البر حيوانات وهي السباع ذات المخالب والاظفار والانياب والقوة والبأس بحكمة عجيبه وهكذا وضع في الهواء الحيوانات الجارحه من الطيور ذات المخاليب والمناقير المحدبة الملتوية فقد حتم الله عليها ان تاكل اللحوم وتنهش تلك العظام لتنظف الجو (كتب ربكم على نفسه الرحمه)

﴿مقارنة بين الحيوانات المفترسه والاطباء﴾

فتامل سيدي كيف وضعت هذه الحيوانات هذا الوضع المتقن وكيف حتم عليها ان تاكل اللحوم ولعمري انها جنود الله المجنده التي سيقت للرحمة بنا وبقاء حياتنا وتنظيف جونا وماهذه الحيوانات الا اطباء يحافظون على نظام الدنيا وازالة اقذارها بل هي افضل من الاطباء واكثر منهم نفعا. فالذي يصنعه رجال الصحة

اليس جل مايفعلون ان ينظروا في امور جزئية في بعض المدن والقرى اليس العرب في الباديه يقل من بينهم الاطباء لندرة احتياجهم اليهم اما الكرة الارضية فلا يعقل ان يبقى سكانها بضعة ايام اذا فنيت تلك الحيوانات حتي تبيد مرة واحده

﴿اختلاف العقول في الحكم بالخير والشر﴾

هنا امر جدير بالذكر وهو الارتياب والشك في الامر المعقول المحسوس بحاسة البصر فمن كان ذا بصيرة رأى هذه الحيوانات قد كتب على انيابها ومخاليبها انها رحمة عامة وغيره ينظر فيراها عذابا اليما. وما مثلنا امام الحكم الا كمثل صبي به مرض فكواه الطبيب بحضرة ابيه فهو لجهله ينظر اليهم بعين الاعداء مع انهم به ارحم من نفسه فهكذا نحن ننظر لهذه الحيوانات بادئ الامر نظرا سطحيا فنظنها عذابا فاذا دققنا النظر وجدناها رحمة عامة كما ان الطفل اذا كبر عرف سر ما كانوا يصنعون به فيبدل سخطه رضى وسيئاته حسنات وجهله علما (ان ربكم لرؤف رحيم)

﴿فطر الانسان على العجلة في الحكم وعدم التثبت﴾

وهذا العالم باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فمن نظر للظواهر اي بلافطنة جهل ومن حاز النهاية في العلم ادرك انه

الرحمه وعادة الانسان العجلة فى الحكم قبل ان يتثبت واذا امعن النظر عرف الحقيقه والى مثل هذا يشير قوله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون) ولو وكل للانسان (وهو العجول طبعا) امر هذا العالم ونظمه على مايريد وهو بعد لم يحز النهاية فى الحكم لازالة هذه الحيوانات فازين هو ايضا من الوجود واليه الرمز بقوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابه ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ولا تظن انى اقصر الكسب على الحمل بنظام العالم وانما اقول ان هذا رمز ليس قاصرا عليه وعلى هذا اذا سمعت قول عنتره

لى النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السلب

علمت ان العالم اذا لم يكن على هذا النظام فسد واختل . فاذا لم تتعاون النسور والسباع والوحوش على هذه الرمم فاين مصيرها وما المنجى منها (ان الانسان لظلوم كفار) (قتل الانسان ما اكفره) (انه كان ظلوما جهولا) تحيط به الرحمة وهو يظنها عذابا

ويالبت شعرى اذا كان مانظنه عذابا وضح جليا انه رأفة فما بالك بما هو الرحمة الواضحة كالصحة والشباب والعلم وما اشبه

ذلك اذا فهمنا هذا علمنا ماورد (ان لله مائة رحمة ادخر منها تسعا وتسعين الى يوم القيامه وترك رحمة واحدة فى الارض بها يتراحم الناس فيما بينهم حتى ان الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه) وان اول كل سورة فى القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وتجدها مكررة فى مواضع كثيره

على ان لحوم هذه الحيوانات اذا تركت فما فائدتها فى الوجود اليست جثتها تكون بلا فائدة وقد قام برهان الطبيعة ان لاشئ فى الوجود معطل (فلله الحكمة البالغه)

اذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا عقلت فصيرت القباح ملاحا
وان لم تجد الا مظاهر صنعه جعلت فصيرت الملاح قباحا

﴿ درجات الناس فى المعارف ﴾

فمن سمع هذين البيتين فهو على احدى خصال ثلاث اما ان يكون من المنكرين وهذا ينبذها ظهريا واما ان يكون ممن يحسنون الظن وتبقى الشبه كامنة فى نفسه ويقابلها بالاعتقاد والجزم وسماع الوعظ وهؤلاء العامة وهم درجات بعضها فوق بعض - واما ان يكون حكيما عالما وهذا هو الذى ينفعهم ماقلناه فى هذا المجلس وهذا غاية مايصل اليه اولو الالباب

(بيان ان السؤال في الخير والشر عام فى سائر طبقات النوع البشرى والملائكة وهم درجات بعضهم فوق بعض) واعلم ان الناس لا يزالون مختلفين فى هذا العالم ولا يخرج من هذا الخلاف الا الاقلون وهم الذين ادركوا انه كله رحمه ويرضون رضاء اما بهذا النظام كما يرضى كل احد عن ترتيب اجزاء جسمه وان انحطاط مقدار اليد عن العقل والمعدة عن الرأس لا يدعوه الى كراهة اعضائه بل يعلم انه ان لم يكن بهذا الترتيب فسد النظام

(ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) والتعبير بالرحمة رمز غريب جدا والى مثل هذا الاعتراض اشار الله بسؤال الملائكه له وقولهم (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فان لكل ملك منهم امر اينحصه فهم كالحواس كل موكل بعالم مخصوص ومن كان هذا شأنه فانه لا علم له بالنظام العمومى فيخالج ضميره ما يخالج ضمير الولد بالنسبة لوالده وهكذا الخدم والحشم والزوجة بالنسبة لتدبير رب البيت وهكذا ارباب المنازل بالنسبة لصغار الحكام وصغار الحكام بالنسبه للوزراء والملوك مع ان كل واحد من هؤلاء متى ارتقى الى المنصب الذى كان يذم اهله تراه تطبع بطبع اهله

ورضى عنهم بعد ان كان ساخطا عليهم لانه يعلم عذرهم فى ذلك وبراهينهم وحججهم وهكذا اكثر الناس بالنسبة لنظام الله لان علمهم ايضا جزئى كعلم بعض الملائكة والى ذلك يشير فى كثير من القرآن فيقول (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون) (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) (وقليل من عبادى الشكور) ولن تجد اكثرهم شاكرين) (مايعلمهم الا قليل) ترى اكثر الناس من كل ملة لقصور علمهم يعترضون على النظام العمومى فى الحيوانات والعالم وكذا بعض الملائكة يقولون ايضا لم خلق الانسان (اتجعل فيها) الخ اشارة الى ان العلم بالجزئيات وعدم الاحاطه بالكليات منشأ الغلط ومثل هذا ما يقول بعض الناس لم خلق الاغنياء والحكام وهم ليسوا صالحين مثلنا ويظنون ان ميزان الله على قدر عقولهم

﴿ هل تلاشى الامم بعد رحمة واى عذاب اشد منه ﴾

ومن هذا الاعتراض يتلاشى الامم فتقول الامة الجاهلة المحكومة بغيرها كيف قهرنا وقد علمت ان الكون كله حكم مضطرده وان الطفل سخر له الايوان ليسيطر اعليه ويحفظاه الى ان يبلغ اشده فيتركاه اذ ذاك وهكذا زوال الامم الجاهلة التي

لا مطمع فى صلاحهم من الوجود تدريجا خيرلها لئلا تلد قوما خاملين جاهلين مقهورين يشغلون ارض الله ويزاحمون العلماء الاقوياء العادلين فخير لكل امة ان تسعى لارتفاع شأنها والا زالت من الوجود عاجلا او آجلا لان هذه هى سنة الكون وهو الترقى وتنازع البقاء وبقاء الاوفق (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (ولن تجد لسنة الله تحويلا) وسنة الترقى مشاهدة وذلك كما نخلق نحن من نطفة فعلقة فمضغة الخ ومن ابى هذه السنة زال من الوجود بعد الانذار والتحذير الا ترى قصة نوح والدعوة التى بقيت فى قومه الف سنة الا خمسين عاما فانهم لما لم يصلحوا للترقى وجمدت قرائحهم على تقاليدهم القديمة هلكوا وبادوا ولم يبق الا من اتبع سنة الترقى واخذ بالجديد وهكذا عاد وثمود فى بلاد العرب والمصريين القدماء لما جمدوا على تقاليدهم القديمة الخرافية وهكذا اهل امريكا الاصليين كل هؤلاء قضت عليهم سنة الترقى ان يبيدوا ويظهر قوم اخرون (ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)

كل هذا وصاحبى مصغ الى فقال لقد ازلت مابقى فى نفسى من الشبهة فهاانا ذعنت وفهمت فهما يقينيا لا تقليديا وهذه مسألة عرفت حلها وكم فى الكون من مسائل مثل هذه المسألة لا يمكننى

ان اقنع نفسى بها فقلت

﴿الكون كله الغاز وحلها جميع العلوم﴾

وسنذكر فى هذا الحديث اهمها

(المشابهة بين القرآن والعالم) مثل الكون الذى نحن فيه كمثل القرآن (هو الذى انزل عليك الكتاب من آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب) فهكذا الكون جميعه يجاب عما اشتبه فيه بمثل ماجبتك به عن هذا السؤل فلتعلم ان ساتره بهذه المثابة فما عرفته بعقلك فانت حكيم فيه وما تشابه عليك فاعلم انه غطى عليك فاصبر حتى ينكشف لك امره فقال

لم حرم علينا اكل الحيوانات المفترسة وابيح لنا اكلنا

قد ورد فى القرآن ان الله تعالى يقول (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وجاء فى الحديث (كل ما استخبثته العرب فهو خبيث) وورد ايضا انه يحرم من الطيور ماله مخلب ومن الحيوانات ماله ناب قوى يعدو به ويلا جمال قد حرم اكل الحيوانات

القاتكة بغيرها وهذا من العجيب ايبيح للحيوانات اكلنا ويحرم علينا اكلها وهلا اقتصصنا منها بل رأيت جميع الامم الغربية تمنع اكل هذه الحيوانات المفترسه كشر يعتنا المطهره. فقلت هذا غاية الحكمة اذ كيف تجتمع الاراء المختلفة على تحريم هذه الحيوانات فانظر كيف طابق الشرع الوضع. ولو سلطنا عليها لكنا كقوم يذبحون اطباءهم فجاء الشرع مطابقا لنظام الكون لانهما من اصل واحد وقس على هذا المثال ماترى من الفراش والزنابير والمكروبات القاتلة والممرضة والاحياء التي تدخل في الاجسام فتحدث فيها الحمى والجدرى وهكذا الحروب العامه في الامم وقرون الحيوان والغضب في نوع الانسان فاذا تأملت هذه كلها وجدتها كما وصفنا لك في السؤال الاول. فقال ارجو الايضاح فقلت اليست هذه سببا للموت قال نعم فقلت اليس الموت لابد منه في الحكمة فقال ولم فقلت لانه اذا بقى كل حيوان على سطح الكرة الارضية حيا افلا تضيق الارض كلها بها كما سبق فقال نعم

(ايضاح حكمة عموم الموت)

فقلت اذن لابد من الموت لتصفو الحياة ولولا الموت

لكانت الحياة تعيسة لتراكم الحيوانات وازدحام الامكنة فقال ولم تزاحمت العوالم وهلا خلق في الكرة الارضية عالم على قدرها تسعه ولا يزادفيها فقلت هذا هو التضييق في الحكم والظلم والجور فقال وهل بقاء الحيوان ظلم وطول حياته ظلم والعقول على خلافه فقلت نعم الا ترى ان المادة مستعدة لتلا حق الصور الكثيرة المحكمة فيها بحيث تتشكل بما لا يتناهى منها واحدة بعد الاخرى فتنتقل من الحجرية الى الطينية فالنباتية الى حيوان الى انسان وهكذا وذلك ان نفس التراب المغذى للنبات ينقلب بحكمة الله العجيبة نباتا وثمرا والنبات والثمر تستحيل في اجسام الحيوان بعد اكلها الى كيلوس وكيموس فيصير كقوام اللبن فدم فلحم وشحم. فالاقتصار على صور مخصوصة عين الجور والظلم

ومن ذا الذى يفضل ان يبقى هؤلاء الاشخاص من الحيوانات والنباتات والانسان من هذا اليوم الى الابد ثم يترك كل من مضوا من الامم ومن يأتى بعدنا فلا كان يونان ولا رومان ولا مصريون ولا اشوريون ولا فينيقيون ولا حكماء ولا انبياء ولا نظامات وممن كنا نتعلم وهل ضاءت عقولنا الا بأنارهم

واذا سلم لنا الامر اكنا نعد نفوسنا قاصرة على شكل

واحد فى الخلق - دعنا من هذا كله واخبرنى اذا فنيت هذه الحيوانات المعاصرة لنا فاى شيء ناكله لنستعين به على بقائنا..

ورقينا فى الوجود فالموت من اعظم الحكم بل به نخرج من عالم المزاحمة الى عالم اوسع وبالجملة فلو ترك الموت ولم يكن قانونا مسنونا لفسد هذا النظام قال تعالى (ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) فما تقدم ينتج القضايا الآتية (١) المادة قابلة لصور لا تتناهى (٢) الحكمة تقتضى وجود هذه الصور (٣) الاختصاص باحداها مخالف للحكمة (٤) وجودها فى زمان واحد مستحيل (٥) اذن لابد من حياة وموت ووجود وعدم لتخلع المادة صورة وتلبس اخرى بمقتضى الحكمة (وتلك الايام نداولها بين الناس) (هو يحيى ويميت) فالموت اذن من اعظم الحكم وهو سر التجدد، وجثث الموتى اذا بقيت افسدت الهواء كله فلابد من حيوانات لتنقيته واصلاحه وهى ...كالشرطيين (البوليس) الذين يلازمون المدن لازالة اقذارها. انظر اراء اهل المدينة الفاضلة للفارابى وكتابنا جواهر العلوم

﴿ كيف ينشأ الشر من الخير ﴾

فقال لقد أزلت من نفسى اوهاما كثيرة ولكننى لا ازال اجد فيها آلاما مما الاحظه فى الحوادث اليومية مما يحزن الافئدة الرقيقة الشعور اللينة العواطف. ومن ذا الذى يتصور فى نفسه صبية صغارا يتضررون جوعا ذهب كاسبهم ليحتطب فصادف انه تهيأ ظل حائط فمالبث ان انقض عليه. ومن ذا الذى يتصور هذا ولا يتفطر قلبه وجدانا وشعورا. وقد يغرق ناسك لاذنب له ويحرق ثوب مسكين لا مال له ويهدم بيت عجوز بالمطر وهكذا حوادث كثيرة لا يلخصها الا ان تجمع اشعار الاولين والآخرين وحوادث التاريخ. والوجدان اعدل شاهد على ذلك فقلت له اليست هذه كلها اسبابا للفناء فقال نعم فقلت هى من موضوعنا. ولابد من عموم الحكمة على ان هدم الحائط واغراق الناسك واحراق الثوب من تمام النظام وذلك لاسباب ضرورية لحياتنا كتكرار شروق الشمس عليها ومرور الرياح والسحاب والامطار وغير ذلك مع الشوق الطبيعى من النفوس الانسانية للحركة والسعى للحياة وهكذا عموم النار لعموم الحاجة اليها والمطر

وبالجملة . فالنفع الكثير لابد فيه من الضرر القليل على ان كل ضرر جئ به للنفع . وتعقل مثل هذا صعب جدا على من لم تهذبه العلوم ولم يتقن الحكمة ولم يقرأ الرياضيات والطبيعيات. وهنا مسلك دقيق جدا لا يدركه الا الفطاحل والحكماء

﴿ هل اشارت الكتب السماوية لهذه المسائل ﴾

ولقد اشار الله لعموم الناس فى هذه المسائل بقصة الخضر وموسى عليهما السلام وخرق السفينة وقتل الغلام واقامة الحائط وانما ذكر هذا رمزا الى الاجابة عن هذا السؤال كانه يقول كل هذه الاحوال تخفى على اكثر الناس فان اكثر الناس لا يعلمون وانما خاصتهم يفهمونها ... ويعلمون ان للجزئيات حكما خصوصية كقصة الاعمى الذى دعاله عيسى فرد بصره فاغرق صبيا فدعا عيسى ربه ان يعميه فقال انت لم ترض بحكمتي فها انت عاينت بنفسك وهكذا فيما يروى عن سيدنا موسى عليه السلام من قتل الجندى للعابد الذى لا ذنب له ولم يسرق قط وبالجملة فالاصغاء الى الجزئيات يضل فى بادئ النظر والرجوع الى الكليات يرينا ان نترك المصالح الصغرى للامور الكبرى وهذا هو الحق بعينه (ولا ينبئك مثل خبير)

فقال لى الآن ايقنت ان الكون كله حكم وضرره مسوق للنفع وان الحيوان كله مسخر لحكم ومصالح وان مضاره اقل من منافعه وانا الآن احب ان افهم كيفية نظامها وغدوها ورواحها ومعيشتها ليطمئن قلبي فقلت : هذا شرحه يطول ولكن نذكر طرفا مما نعلم ليكون نموذجا لما عداه وتبصرة وتذكرة ولكنى اريد ان اسألك اولا عما قرأته في المدارس

﴿ سؤال عن ملخص ترتيب الحيوان اثناء الدراسة ﴾

انى اعلم انك كنت فى المدرسة فقال نعم فقلت ولابد ان تكون قرأت الحيوانات فقال نعم فقلت وما الذى استخلصته لنفسك مما درست فقال اتذكر بعض خواص لبعضها واشكالا وصورا اللاخر ثم شرع يذكر الفيل والسبع الخ فقلت لم اقصد ذلك وانما اريد ان يكون الانسان كملك والدنيا ملكه وتكون الاشياء مرتبة فى ذهنه ثابتة فى عقله مرتبة الوضع تتغير الاشخاص والصور ولا يتغير الترتيب فقال لست اتقن شيئا من ذلك

﴿ ترتيب الحيوانات ﴾

وذكر انها سلسلة واحدة آخذ بعضها باطراف بعض

فقلت اعلم ان من ينظر الحيوان وهو غافل ساه او يقرأ

فى الكتب ولا يتصور الترتيب او يتصوره ولا يتعقله اويتعقله
ولا يلتذ به فذلك يعيش ويموت مع الغافلين الساهين

﴿ الترويض فى حديقة الحيوانات وقراءة كتبها ﴾

فقال وما الذى تريد اذن فقلت ان من يقرأ كتب الحيوان
ويدرس طبائعها ثم لم يفهم الترتيب مثله كمثل امى دخل حديقة
الحيوانات ثم اخذ يتامل محاسن الطيور وتغريدها والفيلة وذكاءها
والوحوش وزئيرها والانعام ورغاءها وجوءارها ولا يدرى ما ترتيب
الآكلة والماكولة ولا الفاضلة والمفضولة وما نسبة بعضها الى
بعض . ولعمرى اى فرق بين العالم والجاهل اذا دخل حديقة
الانعام وبم يفتخر الاول على الثانى فنصيب الحواس الخمس عند
الطرفين واحد اما نصيب العقل فهو خاصة العقلا والحكماء فقال
لقد شاقنى ما تذكره الى معرفة ترتيبها فقلت نعم هانحن نذكر
الترتيب وطرفا من الحكم ليكون نموذجا لمن درس ومن لم يدرس
ومن قرأ هذا الكتاب ولم يتذكر بما فيه فليعده مرارا حتي يذوق
لذة العلم والافليس علينا وزر

اعلم ان الله قد اسبغ على الانسان نعمه ظاهرة وباطنة وسخر
الشمس والقمر والنجوم والانهار والجبال والسحاب والبحار

والحيوان وذلك الحيوان كله كانه حلقة متناسبة الاطراف متشابهة
متلائمة قد تماسكت اطرافها واتحدت اجزاؤها وهى درجات
بعضها فوق بعض متراصة وكانها اسرة واحدة فيها الحاكم والمحكوم
والرئيس والمرؤس فمن درسها حق دراستها رآها مرتبة امامه ترتيبا
محكما اخذا بعضها بيد بعض كانها اعضاء جسم واحد اومملكة
واحدة ومن تأمل في الطير والماء والهواء وضوء الكواكب والحرارة
كيف امتزجت واتحدت وكونت صورا متحركة هاله امرها
وعجب كيف صارت مع ذلك مرتبة الدرجات محكمة الاوضاع
هكذا. الانسان . القرد . السباع . الوحوش . الانعام . الجوارح
الطيور . حيوان الماء . الحشرات . الهوام

فالانسان والقرد معلومان . اما السباع فهى ماله ناب قوى
يعدو به ومخلب محدب مقوس معقرب كالقط والسبع والنمر
والفهد . والوحش ما كان له بعض هذه الاوصاف كالكلب
والذئب والثعلب فان مخالبها ضعيفة لكن انيابها محددة . تمسك
الاشياء باسنانها وتأكل الميتة بخلاف السباع فتمسكها
بمخالبها وتفترس الحيوان الحى . والانعام كل ماله ظلف مشقوق
كالبقر والغنم والمعز وفي معناه الزرافة والجمل اذ كلها تجتر

الطعام بعد خزنه في كروشها . والبهائم ماله حافر كالبغال والحمير والجوارح مالها اجنحة مقو ومناقيرس ومخاليب معقربه كالصقر والشاهين والبومة ومافي معناها . والطيور ومالها اجنحة وريش ومنقار كالحمام واليمام وحيوان الماء مايعيش فيه كالسمك وكلب البحر . والحشرات مايطير وليس له ريش كالنحل والهوام مايدب على الارض او يزحف او ينساب على بطنه كالحية او يتدحرج كالدود . وهذه الانواع من يتأمل يجد وضعها وضعا متقنا بحيث انك ترى فى الحيوان الارضى ماهو اعلى وهو آكل اللحوم وماهو ادنى وهو آكل الحشيش والانسان سيد الفريقين ومن العجيب ان الاسنان اما طواحين او انياب او قواطع فتأمل وتفكر كيف اعطيت آكلة اللحوم الانياب والقواطع ولم تعط الطواحين . وآكلة الحشيش لم تعط الانياب ولا القواطع من اعلى واعطيت الطواحين لان الحشيش والحبوب تطلبها واللحوم تطلب الانياب . والقواطع والانسان لما احتاج الى الامرين وآكل الفريقين اعطى جميع الاسنان فطحن الحب بطواحنه ومزق اللحوم بانيابه وقطعها بقواطعه ولو ارادت آكلة الحشيش ان تاكل اللحم لمنعت فحرم عليها طبعا او آكلة اللحوم

ان تاكل الحشيش لمنعت . وهذه في الحقيقة شريعة الهية سنها الله للبهائم وخصص كل نوع بطعام فاكلت السباع لحوم اكلة الحشيش وآكلة الحشيش النبات . والنبات الارض التي تديرها الافلاك وتدور حولها

ولما كان الانسان سيد هذه المخلوقات واطلق له العنان في الارض يتصرف فيها كما يشاء وصلحت اسنانه للحيوان والنبات لافرق بين الآكلة والمأكولة ولا بين النافعة والضارة انزلت عليه الشرائع وعلوم الطب فظهر له تحريم آكلة اللحوم بعقله ودينه لا بطبعه وهكذا السموم ونحوها . فتأمل وتفكر الفرق بين شرائع الانسان والحيوان فالاول عقلى والثانى طبعى . وانى لاعجب جدا من هذا الوضع المتقن ولنرجع الى مانحن فيه فنقول

هكذا نرى الطيور منها الآكلة والمأكوله ونرى الحشرات تكاد تكون متوسطة بين الطيور والهوام وقد امتازت بالحكم العجيبة الغريبة التي ستطلع عليها ان شاء الله تعالى فياحسرة على من عاش فى الدنيا وهو لم يدر ماحوله من هذه العجائب وياليت شعرى لم عاش وكيف يقدم على العالم الآخر وما جوابه اذا سئل عما بين يديه وما خلفه من السماء والارض بل ماجوابنا وقد احاطت

بنا امم الغرب اذا سئلنا لم عرفوا وجهلنا وهذه العلوم ام العمران فانظر كيف دعا اليها الوجدان والقرآن والانسان والمدنية والحياة ومن العجيب ان هذه الحيوانات تنقسم الى ثلاثة اقسام من حيث التناسل قسم ينزل بيضا فيحضنه الجو والماء والتراب ويفرخ فيه وتتولى الاقدار حكمه فيموت فيها وما بقي يسدّ السهل والوعر وذلك كالبعوض والذباب وبعض الاسماك . وقسم ارقى من هذا يحضن بيضه بعد نزوله كبعض الحشرات والطيور كالنمل والنحل والطاووس . وقسم اعلى منها وهي الانعام والبهائم والسباع والقرد والانسان فانها تحمل البيض في بطنها حتي تلده تام الخلقه

﴿أنواع الحيوان فى بيوت الناس وهم لا يعلمون﴾

لما كان الانسان محل العناية الالهية وضع الله له في المنازل غالبا كل ما يحتاجه من معرفة أمر الحيوان وعلومه وكما انه وضع فى جسمه كافة العبر والحكم والآيات وابدع فى أعضاء جسمه كل اشارة وحكمة فى العالم العلوى والسفلى وعلم ان كثيرا من الناس عن أنفسهم غافلون وعن حكمته معرضون اراد ان يضع تلك الغرائب فى منزله فجعل له من السباع الهر ومن الوحوش الكلب ومن الانعام البقر والغنم وغيرها ومن البهائم جميعها وآنس

له من الطيور الدجاج والحمام ونحوها واحاطه بالحدأة تساور دجاجه فى منزله ليدرس جوارح الطيور واكثر من السمك فى كافة الانهار والابحر واكثر من النحل والنمل والعنكبوت وملأ الارض بالحشرات والهوام حتي لا يغيب عن اى عاقل تلك الحيوانات

فهذه قد احاطت بكل انسان فى منزله او في طريقه فيمر عليها وهو ساه لاه غير مفكر في ترتيبها ولا وضعها (وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) ولنوضح هذا المقال باجمل من هذا ثم نذكر من كل فصيلة من هذه الفصائل اجمل ما نراه واحسنه لتنشرح الصدور وليكون كتابنا هذا بهجة وجمالا للقارئين يعشقهم في فهم العلوم على اختلافها ويكون لذة وسرورا ونضرة وحبورا ويوم القيامة جنة وحريرا

﴿آراء علماء المشرق والمغرب في سلسلة الحيوانات وترتيبها﴾

يقصد المحققون من العلماء الوقوف على الحقائق لاستنتاج الامور العظيمة واراحة النفس من حمل اثقال الجهل ولعمرك لن ينال المرء سعادة ما دام مستريبا فيما يراه من العالم وغيره واقف على

حقائقها وهو يشاهده. ولا طلعك على اقوال الاولين والآخرين لتكون على بصيرة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون قال الاقدمون ان للكون مبدأ وصانعا له رتبه سلسلة منتظمة هكذا الجماد فالنبات فالحيوان فالانسان

ثم الجماد اعلى وادنى فهو سلسلة مستطيلة تنتهى الى المعادن والمعادن ترتقى الى النبات ومعنى ذلك ان الذهب ارقاها والفضة تليه فالحديد فالنحاس وهكذا وبعد الذهب تبتدئ رتب النباتات وتبتدئ النباتات من الفطرية التي لا ترى الا بالآلات المعظمة وتمر هكذا الى الحشائش الصغيرة وترتقى الى الاشجار التي ارقاها النخل وتتصل سلسلة النبات بالحيوان فى السفنج الذى ينبت في قاع البحر الملح وما هو الا حيوان يشبه النبات عظمه هو الذى تمسح به الناس المعروف بيننا ولحمه مادة هلامية تصفى منها. فهذا نقطة اتصال بين النبات والحيوان ويترقى عن هذه الطبقة حيوان المحار الذى فى الصدف (وقد ذكرناه في كتابنا جواهر العلوم وفصلنا كيفية خلقة الجواهر فيه فارجع اليه ان شئت) فهذه الحيوانات فاقدة بعض الحواس كالدود الذى لا حاسة له الا اللمس ثم ماله حاستان فثلاث فأربع فخمس ومنها ماله حمية يحمى

بها ذماره ويربى اولاده وهى الطبقات العليا منها كذات اللبن والبيض. ومنها ما ليس كذلك. واذا كانت سلسلة النبات مرتبطة بالحيوان وجب ان تربط سلسلة الحيوان بالانسان. ولما كان الانسان ارقى منها بما لا يحصى عجز الحيوان عن ارتباطه به بشئ واحد. فاشترك جملة منها فى ذلك. فالقرد للتقليد. والفرس للادب. والفيل للذكاء. والطاووس بالجمال. والبلبل بالصوت وجماله وبعد ذلك يأخذ الانسان مراتب من ادنى متوحش الى أرقى عالم ثم الانبياء وقالوا ان الدنيا عبارة عن دائرة تبتدئ من اسفل الى اعلى ثم من اعلى الى اسفل فالحكمة تقتضى وجود كل طبقة من هذه الطبقات. فاذا اختلت واحدة منها كان نقصا فى الحكمة وليس يلزم ان يكون بعضها مشتقا من بعض وانما ذلك ترتيب تقتضيه الحكمة ونظام لا يجوز فى العلم اغفاله هذا ماقاله الاقدمون كما فصله ابن خلدون وابن سينا والفارابى وغيرهم وانظر يا سيدى كيف ترى نفسك تستلذ هذا الترتيب ويعجبها هذا الاتقان وتفرح بما اوتيت من العلم وتطمئن اشد الاطمئنان

ادر نظرك نحو الغربيين وقل لى ما الذى اداهم اليه

اجتهادهم .... لعمرك ياسيدى لقد حاموا حول هذه الدائرة لكنهم الى الآن ماوصلوا الى اقطارها فان دروين اشهر علماء الطبيعة راى ان الحيوان بعضه فوق بعض في الترتيب واعلاه القرد ثم الانسان واشتهر عنه ان بعضها مشتق من بعض ولم يدر فى خلدهم هذه الدائرة المنتظمة . ولا ماهي الحكمة فيها . واما الذى تطمئن اليه النفس فيها فنحن اوضحنا الكلام بمايسعه المقام ولنشرع الآن فى تفصيل هذه الدرجات .ونذكر لكل منها عجيبة من الجمال لنجمع بين فضيلتي العلم والبهجه . فنضع الحيوانات في سلك الترتيب ونذكر لكل نوع غريبة من غرائبه حتي يسر مطالعه ويشرح صدره

﴿ الانسان امره معلوم ﴾

ان اردت تفصيله فاقراء علم التشريح لتعلم تركيبه وان العلماء ذكروا له خمسة آلاف حكمة في تركيب اعضائه ولقد ذكرنا ملخص علم التشريح فى كتابنا نظام العالم والامم وفصلنا كيفية سير السياسة على مقتضى تشريح الجسم فارجع اليه ان شئت . اما احوال الانسان وغرائبه فها هو القرآن وكتب الديانات والحديث وعلم التاريخ والمخترعات فمن هذه يعلم ماوصل اليه

الانسان من الغرائب .فكما ابدع جسمه بالاتقان ظهرت غرائبه للعيان

القرد

انواعه كثيرة وليس المقام مقام تطويل وفيه من غرائب التشريح مايقرب من الانسان

غرائب افعاله

ذكر العلماء للقرد غرائب عجيبه ولنقتصر على واحدة منها ذلك انهم شاهدوا القردة فى الممالك المتحدة تبنى قنطرة من اغرب ماسمعه البشر . وذلك انها اذا ارادت عبور نهر انتخبت افرادا منها وامسك واحد بغصن شجرة على شاطئ النهر وامسك بيديه ورجليه ثم امسك آخر فاخر حتي تنتظم سلسلة من القرود ثم يصنع اسفلهن اهتزازا فى السلسلة . فلاتزال في ارتفاع وانخفاض حتي يمسك القرد الذى فى طرف السلسلة بشجرة على الشاطئ الاخر وتتكون قنطرة محدبة من القرود ثم تمر عليها مئات منهن عبورا اعتياديا بلا خوف حتي ان الصغار ليتغا مزن فوق تلك القنطره فاذا انتظم عقد جمعهم فى الشاطئ الثانى ارخى القرد الاول يديه فصارت السلسلة كلها في الشاطئ الثانى ونجوا جميعا سالمين. فتأمل كيف عرف القرود هذا بلا تعليم ولا مدرسة وانظر

كيف كانت نتيجة احكام صنعة جسمه ان يتقن فعله وبهذا تعلم قوله تعالى (ومامن دابه في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين)

السباع

فقال صاحبي هانحن عرفنا الانسان وبعض طبائع القرد. وقد وعدت ان تذكر شيئا في السباع . فارجو الكلام العام عليها. لان التفصيل شرحه يطول . فقلت خلق الله سبحانه وتعالى جسم السبع والنمر مناسبا لحاله المعيشية حتي يمكنه ان يجرى بين الاشجار والاعشاب والشجيرات والغابات التي يعيش فيها بكل سرعة وسهولة. فجعل باطن الارجل ملساء ناعمة لئلا تحدث صوتا فتسمع الفريسة وجعل اجسامها في غاية القوة حتي يمكنها بوثبة واحدة اقتناص الفريسة وان كانت اسرع جريا . وجعل الوانها كالوان الغابات والاحجار التي خلقت فيها لئلا تتميز عنها فتنفر فريستها منها فانظر كيف اخفى الله سبحانه وتعالى الوانها ولم يجعل لمشيتها صوتا لتتم حكمته التي قدمنا ذكرها . وجعل لها انيابا محددة ومخاليب مقوسة ليتم الاقتناص كما ذكرناه سابقا (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) ولم تعط

هذه الفصيلة طواحين فتزدرد اللحم ازدرادا وتبلعه . وخلقت لها الانياب الحادة لتمزق بها اللحم واتسعت عيونها لتصلح لصيد الليل . فاما نهارا فانها تغمضها بعض الاغماض اذ لا تحمل النور القوى نور الشمس فاذا اقبل الليل فتحت عيونها لترى فريستها ويكون ما فى الليل من قليل النور كافيا لها . فانظر كيف وافق وظيفتها (الافتراس) اللون والشكل والقوة والناب والبراثن وقوة الحاسة ونعومة بطون الارجل . اما الوحوش فانها اقصر اظفارا واضعف حدة في الانياب من النمر وفصيلته . والوحوش تأكل اللحوم الميتة بخلاف السباع فانها تفتك بالاحياء ولنذكر حكايتين جميلتين عن الوحوش

﴿ لطيفتان الاولى للكلب والثانية للذئب ﴾

حكى ان امرأة كانت في سفينة بخارية معها ظئر تحمل ولدها فوقفت الظئر في نافذة مشرفة على البحر واطلت على الماء والصبي في يدها فمد رأسه فسقط في البحر فصرخت الظئر واهتاج اهل السفينة واما امه فاغشى عليها وكان فى اخريات الناس شاب في يده كتاب وبجانبه كلب من بلاد الارض الجديدة فاسرع الى الظئر وقال لها هل معك شئ من اثر الصبي فقالت لا

﴿ الحكاية الثانية عن الذئب ﴾

حكى ان رجلا رأى ذئبين كانهما يتشاوران فى امر تم اسرع احدهما الى حفرة في عرض الوادى واسرع الآخر الى الناحية الاخرى منه فيها قطيع من الظباء يرعين فازعجهن حتي جرين الى تلك الحفرة التي فيها صاحبه فانقض ذلك المختفى على واحدة فأخذها واتى الثانى معه فقتلاها واكلاها فتأمل قوله تعالى (الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)

فقال لى صاحبي براثن القط طويلة وبراثن الكلب قصيرة فما الحكمة في ذلك . فقلت لان الهمة من فصيلة السبع التي تمسك الفريسة بمخالبها . فصارت حادة طويلة بكثرة الاستعمال بخلاف الوحوش فلا تستعمل الا انيابها وعلى ذلك كانت السباع اشرف من الوحوش حتي ان بعض الوحوش ليتبع السبع ليأكل مابقى من فريسته فما الوحوش بالنسبة للسباع الا كالامم المنحطة الكاسلة بالنسبة للامم الراقية النشطة

﴿ الانعام ﴾

قال صاحبي هاانت ذكرت السباع والوحوش وعرفنا مستقرها ومستودعها فى البرارى والقفار والمفاوز فاخبرنى عن

الانعام من كل آكل للحشائش وكيف كانت خلقتها وهل تكوينها يناسب ما خلقت له كما رأينا فى السباع وهل اسنانها وقرونها واظلافها وكروشها مستعدة لاحوالها المعيشية فقلت

أعلم ياسيدى ان هذه الحيوانات وهى البقر والغنم والمعز والغزال والجمل والزرافه ونحوها كلها تأكل الحشائش وحرم عليها اكل اللحم لتكون واسطة بين السباع والحشائش فالحشائش والاشجار نابتة في الارض فتتناولها هذه الحيوانات . وحرم على السباع تناولها كما حرم على هذه اكل اللحوم وبعد ذلك تكون هذه مأكولة للسباع والجوارح فانظر كيف كانت تلك الحيوانات سلسلة آخذا بعضها باطراف بعض فجعل الادنى طعمة للاكمل الاشرف كما هى سنة الترقى التي ادعى دروين انه اكتشفها مع انها وردت في آيات كقوله (لتركبن طبقا عن طبق) ولما علم قصورنا عن ادراك هذه القاعدة قال (فمالهم لايؤمنون) وقال (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) اشارة الى الالتئام والتناسب الذى ذكرنا وقال (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره) ونوره هو سنة الترقى (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) وانما قلنا انه سنة الترقى لانه

ذكر قبلها ان النصارى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم ولا ريب ان ذلك يدعو الى اطفاء نور العقل والعرفان الداعى الى الوقوف او الانحطاط . فأبان بعد ذلك انه لا بد من الترقى الذى هو سنة الكون فى الماديات والعقليات فقال (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ولقد خسئت تلك الفرق واخذت الامم الآن فى الترقى كما ترى فى مقالنا الآن

ولما كانت هذه الحيوانات مستعدة لاكل الحشائش لم تعط من الاسنان الا ما يناسبها فكانت لها الطواحين ولا اسنان لها في الفكوك العلوية وانما تضغط الطعام بين الاسنان السفلى والفك الاعلى ولو ارادت ان تأكل اللحوم ما امكنها اذ لا قواطع ولا انياب لها كأكالة اللحوم وكلها ذات كروش فبعد ان تأكل الحشائش وتزدردها باسراع خوفا من الحيوانات المفترسة ترجعها ثانيا فتمضغها وتجترها آمنة مطمئنة

ولما علم الله انها مطلوبة للسباع اكثر لها من الكروش لتخزن فيها الاطعمة . اولا باسرع مايمكن ثم تذهب الى اماكنها وترجع الاغذية الى فمها وتطحنها أو ترجعها الى معدة اخرى

فتبارك الله احسن الخالقين

وكلها قد اعطيت حافرا مشقوقا ولها قرون مجوفة ماعدا الغزال فهى ممتلئة فيه وجعل ذلك سلاحا لها وقوة ولم يعط الجمل ذلك والغزال نال حافرا نامما اسفله ليجرى بسرعة وسهولة فلا يسمع صوت جريه فيصاد . - وتأمل كيف اعطى الجمل خفا عريضا به يتمكن من السير في الصحراء على الرمل ولولا ذلك لغاصت قوائمه والزرافة لا قرون لها وانما اعطيت رقبة ولسانا طويلين حتي يمكنها ان تصل الاوراق والاثمار في اعالى الاشجار فانظر كيف اختصت الزرافة بهذه الحكم العجيبة المناسبة لحالاتها المعيشية

فقال لى صاحبي ياسيدى نظرت فى الطيور الكاسرة والصالحة للاكل والحيوانات المفترسة واكالة الحشائش فرأيت غرائب لم اعرف حكمتها فقلت وكيف ذلك فقال ارى اكالة اللحوم من السباع والنمور والفهود ملونة بالصفرة المشوبة بالسواد فتكون لونا اصفر داكنا فى الاسد مخططا بالسواد في النمر منقطا به في الفهد ورأيت العلماء بحثوا عنه فوجدوا هذه الالوان تناسب الغابات والاحجار الملائمة لسكنى هذه الحيوانات اعانة من الله

لها على الفتك بغيرها لاختفائها عن فريستها واشتباهها بالاحجار والغابات ولم تراع تلك المناسبات فى اكالة الحشائش كالغزال اذ لو روعيت لانقرض جنس السباع وقلتم انها امم نافعة

اما الطيور فقد لونت بالوان ماخلقت فيه لتختفى به عن اعين الطيور الكواسر فلم ادر ما الحكمة اذا ولم لم تكن الحكمة مطردة في الانواع المفترسة فى الحالين أو الفريسة فيهما . وكيف جعلت الطيور التي في البلاد الثلجية بيضاء كالثلج كما لونت طيور تبيض في الرمال بالوان تلك الرمال ولم تراع تلك الحكمة بعينها فى اكالة الحشائش فقلت اعلم ياسيدى ان الطيور ليس لها فى الجو ملجأ من الجوارح فزينها الله بتلك الالوان وقاية لها وعكس ذلك فى حيوانات البر لكثرة الاحجار والحفر والمغارات والسراديب والاعشاب والغابات والاشجار والحشائش التي تختفى فيها مع كثرة التلال والجبال والجسور والمنعطفات . وقد اعطيت هذه الحيوانات ايضا سرعة العدو فكان ذلك كله سببا لمنعتها واختفائها فاستحق السبع واضرابه الرحمة من الله بتلك الالوان لادخال الغفلة على الفريسة ليتم النظام ويقوم ناموس الكون وهذا مصداق لقوله تعالى (انا

كل شئ خلقناه بقدر) (وان من شئ الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم) فقال لى صاحبي ظهر لى الآن ان كل هذه الحيوانات مرتبة ترتيبا محكما عجيبا فهل لك ان تذكر لى ملخصا في ترتيب الاسنان والانياب والقواطع بحيث يتلخص امامي كل هذه الاشياء مرتبة من النبات الى الحيوان بانواعه الى الانسان زيادة على ماسبق فقلت اعلم ان حكمة الله فى تناول الطعام سارية فى كافة المخلوقات النامية فترى النبات لاناب له ولا قواطع ولا طواحين فوضعت المواد الصالحة لاكله تحت سطوة الحيوانات المكروسكوبيه فى الارض فتفتتها لتصير صالحة لامتصاصها وتمثيلها بجسم النبات ويليه فى ذلك الحيوانات الدنيئة كالدود اذ يمتص بجلده المواد المغذية منه ويترق عن ذلك الحيوانات آكلة النبات فتتغذى به ولها طواحين ولا انياب وقواطع لها وانما تطحن الطعام طحنا بضغطه ويليها السباع والوحوش فانها عكس ما تقدمها فتقطع اللحم بالقواطع وتمزقه بالانياب ولا طواحين لها . اما الانسان فقد اعطى الاقسام الثلاثة لاستيلائه على جميع الاغذية فهو مستعد للجميع بفطرته فتأمل كيف غفل عن هذه الحكم اهل العلم فقال صاحبي وهل فى

شرعنا مايشير الى هذا كله بوجه الخصوص فقلت نعم ورد في الحديث (تحريم كل ذى ناب ومخلب) ومن العجيب ان الاسلام وجميع الامم مجمعة على عدم تناول لحوم السباع والوحوش لخبثها ولتؤدى وظيفتها التي قدمناها وقد اوضحنا هذا في غير هذا الموضوع من الكتاب

فقال لى صاحبي قد عرفت السباع والوحوش والانعام . وأما البهائم وهى الخيل والبغال والحمير فامرها معلوم ولكن ياسيدى اريد ان اسألك سؤالا عاما عن الحيوانات الاهلية والوحشية ونظائرها من الطيور الآكلة والمأكولة كيف كثرت عجائب الحيوانات الوحشية وقلت فى الانسية . ترى غرائب كثيرة وافعالا مدهشة عن الحيوانات البرية الوحشية والطيور الكاسرة فكم من حيلة اخترعها الثعلب بذكائه كما حكى مرة ان صائدا راقب ثعلبا والثعلب يتربص ارنبا فلاحظ الثعلب انه بين شوق الى مطلوب وخوف من مرهوب تتجاذبه قوتان وتحيط به نيران فحفر لنفسه حفرة وتوارى فيها عن الصياد وارتقب مرور ارنب عليه فلم يشأ ان يهاجم لئلا يصاد ولا ان ينام فى حفرته لئلا يفوته المرغوب فمر به ارنب فانقض عليه . وعجائب الحيوانات

الكاسرة لاتحصى ولم نسمع غرائب عن الحيوانات الاهلية وهل تقاس الشاة بالذئب أو البقرة بالفيل أو العنز بالنمر اللهم الا مايذكر عن ذكاء الخيل وانجائها لاصحابها حتي لقد همهم برأسه جواد وربط بجانبه سيده المأسور فاشار اليه الجواد ان فك عقدتى فتدحرج الاسير على الارض حتي حلها فانتشله الجواد من حزامه بفمه ثم اسرع به طول الليل حتي وصل الحى فمات الجواد ونجا صاحبه فهذه وامثالها قليلة بالنسبة لما ينقل عن الوحوش والطيور الكاسرة فما السبب في ذلك . فقلت اعلم ياسيدى ان الاسر والكسل والقهر يدعو الى الذلة والمسكنة وبهما تنقص القوة العاقلة ويقل الذكاء وعلى ذلك كانت الامم المهضومة الحقوق المسوقة بيد الغير المدبرة برؤساء من غير جنسها اشبه بالحيوانات المنزلية فكل من كان مدبرا بارادة غيره واقعا تحت سيطرته تابعا لاشاراته لم يتعود الاستقلال تأخذ قوته العاقلة فى النقص شيئا فشيئا لترك استعمالها وقد جرت حكمة الله تعالى فى العالم الا يعطى الشئ الا لمن يشكره وليس شكره الا استعماله فيما وضع له فلما كانت تلك الحيوانات الانسية مسوقة بيد الغير استغنت عن الذكاء والفطنة ولعلها حين توحشها في

مبدأ الخلقة كانت مساوية للحيوانات الاخرى فى الذكاء والحيل هـذا وقد قال الله تعالى (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ولا تفاوت ولا تناقص بين الانسان والحيوان فهـذه القضية بعينها منطبقة على الانسان فاذا اديرت سفينة الامة بيد غيرها وكان ملاحوها غير اصحابها وقفت عقولهم عند حد مخصوص وضلوا في بحر الحياة اللجى الذى يغشاه موج الذل من فوقه موج العذاب من فوقه سحاب الاهـوال واذا تقصر فكرهم على رؤسائهم ينتظرون فضل رحمتهم ويفرحون لابتسامتهم ويجدون لاشارتهم فانقطعت اذا الصلة التي بين العبد وربه الا وهى صلة الالهام والعقل والتدبير وينقطع حينئـذ عن مسبب الاسباب الى عبيده وهنا امران لامناص من احدهما اما السقوط الى دركات الحيوانية جيلا فجيلا حتي تبيد الامة واما ان يقوم فيهم رجال ينبهونهم ويوقظونهم من غفلاتهم وهـذا هو حال الشرق الآن

﴿ الكلام على الطيور ﴾

فقال صاحبى لقد اتضح لى السبب وعرفت الحكمة وفهمنا الحيوانات وعجائبها فارجو ان تذكر كلاما على الطيور وغرائبها

وما اودع فيها من الحكم فقلت ان الله قسمها قسمة عادلة كقسمة الحيوانات التي على الارض فجعل منها الاكلة والمأكولة وترى الصقور والشواهين والبزاة والبوم والغربان قد خلقت لها المناقير الملتوية والمخاليب المعقربة والريش الطويل فى الاجنحة والاذناب وهـذا الاخير ليكون موازنا لاجسامها ليمكنها ان تديرها كدفة المركب وذيل السمكة اذ لايمكنها ان تستدير يمنة أو يسرة الا بتحريكه ضد ماتريد (انظر كتابنا جواهر العلوم) وحدب مناقيرها لئلا تصادم الرياح فتعوقها عن الطيران اذا كانت عريضة واعطيت حواس قوية حتي يمكنها ان ترى اقل شئ فى الارض على بعد عظيم وتشم الرائحة من ابعد مكان ولها من السرعة مالايخطر بالبال حتي ان الصقر ليطير فى الساعة اكثر من مائة ميل وقد يحمل الارنب أو الحمل أو الطفل وعلى ذلك قد لايزيد وزن الطائر عن نحو اثنى عشر رطلا

﴿ لطائف عن الطيور الجارحة ﴾

ولنذكر غرائب الخفاش والغراب والبوم ليكون مجلسنا هذا جميلا فلا نذكر فيه الا ماجمل من الحديث وليكون تذكرة للعقلاء وسلوة للحكماء وتنبيها للنبهاء وليرى الشبان الاذكياء مالم

يكن ليخطر على بالهم من العجائب التي يراها عامة الناس ولا يفقهون لها معنى وكيف جهلناها واعرضنا عن العلم فاعرضت المدنية (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى) فاذا قرأت ما يأتى من غرائب الطيور وفطنت الى ما سنذكره من الحكم ثم نظرت الامة حولك كيف اعرضت وجهات تعرف سرا من اسرار القرآن وكيف سمى هذا نسيانا وظن العامة منا وكثير من الخاصة ان المدار على ان يقول اعرف الله بلسانه وهو يجهل ما حوله من الكائنات ومنافعها (افلم ينظروا الى ما بين ايديهم وماخلفهم من السماء والارض) ثم هدد فقال (ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء) اشارة الى الذلة التي تحيط بالجاهلين ولنشرع فيما وعدنا فنقول

﴿ الخفاش ﴾

لايعد الخفاش من الطيور الا تساهلا اذ لا ريش له ثم هو لا يرى الا ليلا لقوة عينيه فيجهر بصره نهارا ويقوى ليلا ليكون

لصا وهذا النوع اعطى قوة على ان يطير فلا يسمع ويبصر ليلا وهو لا يبصر ومنه خفاش جثته كبيرة كالثعلب او الكلب حتي يسمى الكلب الطيار فهذا وذاك كلاهما موجودان في العالم وشاهدهما اهل هذا العصر ووصفوهما فى الكتب (وفى الارض آيات للموقنين) (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) (وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) ورب قارئ يقرأ هذا ويقول انا لا اصدق الا بما شاهدت وهذا انما هو من الغافلين فان هذا من آيات الله الدالة على صفته المشحونة بها الكتب فى العصر الحاضر الآتية بها الاخبار من اقاصى المعمورة (افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا) ونحن اذا تمادينا على الاستهزاء بهذه العجائب واعرضنا عن ذكر الله بسببها ذهبت منا مدنيتنا مع ان علماءنا السابقين وآباءنا الاولين كانوا هم السابقين لها المعلمين لعلماء اوربا الهادين لهم الى سبيل الفكر والعلم والقرآن هو الهادى الى ذلك

ومن الخفاش نوع يعيش على دم الانسان والحيوان فيشرب

دم الخيل والابل والبقر والغنم فاذا رأى انسانا نائما جاء بلطف وخفة وروح على وجهه حتي يستغرق فى نومه بتجديد النسمات عليه ثم يضع منقاره فى موضع مكشوف من جسده ويمتص منه الدم ولا يزال كذلك حتى يمتلئ ثم يطير باسرع من لمح البصر ويترك النائم على شفا جرف هار من الموت او المرض. وما اشبه هذا بالامم الفاتكة بغيرها بطرق الخداع واستهواء العقول فجلت صنعة الحكيم العليم الذى اتقن صنعه وعلم الحيوان فوق علم الانسان فى كل فن من الفنون حتي السياسة عجب من هذه الصنعة الباهرة والحكمة الظاهرة فالى متي ياقوم لا تقرؤن علم الحيوان ولا تذكرون الله الا قليلا (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

﴿ حكمة الله فى البوم ﴾

البوم حيوان قوى جدا لا يظهر نهارا لان له عينين كبيرتين واسعتين لا تقدران تحمل نور الشمس القوى وانما تقدر ان تنظر فى الغلس وتبحث اذن عن الطعام. تعيش على الفيران الغيطية والمنزلية والسمك والحشرات فاذا جاعت ولم تجد شيئا من ذلك اكلت من الطيور صنعت اجنحتها بحيث تطير بلا صوت ولها

اذنان قويتا الاحساس جدا بحيث تسمعان اقل حركة من حيوان صغير كالفأر على الحشيش فاذا رأت فأرا على الارض او سمكة على سطح الماء اسرعت اليه فى الحال نازلة فى طبقة الهواء وحينئذ تنقض عليه وتقتنصه بمخاليبها ثم تطير به وتزدرده كله عظاما ولحما فاذا هضم اللحم فى فمها وتخلص من العظم لفظت العظم - اذا شاهدت عش بوم فى جوف شجرة او خربة فلتعلم انك سترى آكاما كبيرة من العظام التي اكل لحمها البوم بل تنس تلك الاعشاش انما هى آكام صغيرة من عظم يابس - البوم نافع عظيم للفلاح فيأكل الفيران التي تضر بالزروع وقد قيل ان بومة واحدة قد تأكل قدر هرة خمس او ست مرات. حكى ان رجلا له يمام مستأنس في برجه فوجده ناقصا فاخذ بندقيته وتربص ليلا حتي اذا جاءت بومة ودخلت البرج ولما خرجت وفى فمها شئ ظنه الرجل يماما وظنها سارقة له ولما ضربها ووقعت ميتة وجد ما فى فمها الفأر التي هى المفترسة على الحقيقة فندم ولات ساعة مندم. وفى بعض الجهات يستعملون البوم لصيد الطيور وذلك انهم يأتون بأغصان ويدهنونها بصمغ يسمى صمغ الطيور يلتصق الشئ به كالغراء ثم يربطون البوم في حبل قريب من تلك الاغصان

حتي لا يتمكن من الفرار فى الحقل ثم ان الطيور تكرهها كراهة شديدة لانهن يعلمن انها فى بعض الازمان تقلق راحتهن وتحاول اقتناصهن فاذا رأوها مربوطة وان تقدر على ان تلحق ضررا بهن يذهبن فى عدد كبير وجم غفير ويلتففن حولها لينقرنها بالمناقير ويضررنها باى وسيلة يقدرن عليها وفى الحال تثب تلك الطيور على الاغصان المدهونة بالغراء اوتلمسها باجنحتها فيمسكهن حالا ويقتنصهن الرجل سريعا ويضعهن فى القفص المعد لذلك ويذهب الى حيث يريد

﴿ الغراب ﴾

هو من الملحقات باكالة اللحوم وضعه الله فى الارض ليساعد الفلاح على عمله فى الحقول ليأكل الدود والجرذان وغيرهما من هوام وحشرات ومن العجيب انه يعرف الخطر فيتقيه الهاما من الله تعالى فيبنى مساكن من الاغصان مجتمعة على الاحكام والاتقان في اعالى الاشجار حتي لا يقدر الريح على افساد اعشاشهن او ايقاعهن عن اماكنها ويخرجن لطلب الرزق زرافات فاذا وقعن فى حقل ليلتقطن ما اودع الله لهن من الحشرات والهوام جعلن واحدا منهن حارسا متربصا للاعداء محاذرا هجمات الفاتكين

افاذا نعق (غاق) علمن قرب خطر محدق بهن فطرن في الهواء. ومن العجيب ان الناس في بلادنا لا يفهمون لهذا الطير معنى ويؤذونه وقد يضربونه بالبنادق وهم يجهلون انه صديقهم قاتل عدوهم اللدود فهو يحسن وهم يسيؤون. وفى ظنى ان كثرة الدود فى بلادنا انما جاءت من قلة الاشجار ولو ان الناس غرسوا على الترع والجسور والخلجان اشجارا لعششت فيها الطيور المختلفة وابادت الديود والحشرات اذ من المحقق ان الحشرات اصلها الدود فكل حشرة تبتدئ بيضة فتنقلب دودة حتي اذا اكلت ونامت نسجت عليها نسجا حريريا فكونته كتلة صغيرة او كبيرة وتسمى بلسان علماء الحيوان شرنقة ويبقى فيها ذلك الحيوان نائما ثم تخلق له الاجنحة والارجل فيخرقها ويطير كما في دود القز ودود القطن الذى يخرج منه ابو دقيق وسنوضحه في هذا المختصر ان شاء الله تعالى وستقف فيه على ان الطيور وضعت لاكل الحشرات والدود الضارة بالزروع والاشجار مساكنها فمن قطعها فقد جنى على الزرع جناية لا يكفرها الا العلم بها

﴿ الغراب والمقارنة بينه وبين البوم والخفاش والفلاح ﴾

(فى الحقل وان هذه مملكة سياسية)

لقد صدق علينا اليوم (وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) هذه آية هذا الغراب نشاهده كل يوم ونسمع ذكره فى القرآن وان بعض عباد الله تعلم عنه وقال ياويلتي اعجزت ان أكون مثل هذا الغراب وحرم علينا اكله فياليت شعرى ماالذى فيه من المنافع وماالذى أودع مدبر الكون فيه من الحكم والمصالح وهل له ارتباط بمعايشنا وأرزاقنا نعم. اى وربى انه لحق وهل يذكر في القرآن الا لينبه النفوس الغافلة والعقول الخامدة اعلم ان الغراب من اعظم نعم الله على الفلاح وزرعه فانه يأكل الحشرات الصغيرة والديدان من الارض التي لو بقيت لاضرت الزرع فهلك الحرث والنسل. فانظر كيف جعل الله هذا الحيوان مساعدا على نمو نباتنا وبقاء حياتنا كما جعل البوم اكلا للفيران ليبقى الزرع محفوظا الى اجل مسمى. فانظر كيف سلطهما الله على تلك الحيوانات المضرة بزرعنا وانظر الحكمة فى الشريعة المطهرة وكيف حرم اكلهما على الناس لطفا من الله بناء وبقاء لزرعنا فضلا عن ضررها باجسامنا كما تشير اليه الآيات

والاحاديث

﴿ مقارنة بين سياسة الله تعالي فى العالم وسياسة الامم ﴾

وبرهان على وجوده وحكمته

هل لك أيها السيد الاخ ان تتأمل معى فى أربع اصناف كونت محكمة واحدة

تصور الغراب والفلاح والبوم والخفاش يتعاونون على انماء الزرع فترى الفلاح يحرث ويبذر ويسقى ويحضر الآلات لتنقية الحشيش وهذا هو الوزير الاول لهذه المملكة وهذا الوزير يعجز عن ابادة الجنود المجندة من الحيوانات التي تفتك بزروعه صباح مساء. فلما عجز عن ذلك اغاثه الله وأعانه بالبوم فقد جعل الله معيشته على الفيران والحشرات وأشياء أخرى مما يضر بالزروع فاذا أفلت شيء من هذه الحيوانات ولم يبده البوم تلقاه الخفاش فانه مسوق طبعا لاكل الفراش وغيره وهذا لو ترك وشأنه لوضع بيضا يبقى في الارض زمنا ثم يخرج منه دود وهو فى الغالب عند ابتداء خروج النبات من الارض فيهلكه ومتي بقى شيء من ذلك وقد افلت من البوم والخفاش سلط الله عزوجل حيوانا نهاريا وهو الغراب فاكل ذلك الدود من

الارض فانظر كيف جعل كل صنف من هذه الاصناف الاربعة الانسان والبوم والخفاش والغربان مساعدا للآخر في انماء الزرع وهو لا يدرى ما نتيجة عمله . ومن العجيب انك ترى ان الخفاش والبوم حيوانان ليليان أعدهما الصانع الحكيم للهجوم على الحيوانات المبصرة السميعة القادرة على الطيران والجرى فوهبهما اعضاء وحواس تناسب الهجوم فى الظلمة . وانظر كيف كان الغراب حيوانا نهاريا لان معيشته غالبا من اكل الدود وهو لا قدرة له على الجرى ولا سمع له ولا بصر فلم يكن من الحكمة ان يجعل ليليا وهكذا الانسان

وانظر كيف جهل كل صنف من هذه الاصناف عمل الآخر كما قدمنا ولا جرم ان الذى علم النتيجة من هذه الاعمال الليلية والنهارية هو الصانع الحكيم الذى دبر الكون واتقنه (فظهر اذا ان الحقول كالممالك)

فكما ان الملك او الوزير يعطى كل عامل قسطه من العمل الذى يصلح له فهكذا نرى ان كل حيوان ناطق أو غير ناطق قام بعمل يصلح له في الزرع وكما ان الملك او الوزير يوعز الي رئيس الاشغال أو الادارة او الحقوق او المعارف بما لا يوعز به الي

الآخر فهكذا نرى ان كل حيوان جبل على عمل برع فيه . وكما ان كل رئيس من رؤساء الحكومة يعلم ما تحت امرته تفصيلا ويجهل سواه فهكذا تلك الحيوانات والانسان كل يعلم ما استعد له ويجهل سواه . وكما ان نتيجة جميع نظام الامة موقوف على ارادة الملك او الوزير بحيث ينظران الاشغال والادارة وغيرهما وينسبان بعضهما الي بعض ويلاحظان النتيجة ويزيدان ما نقص وينقصان ما زاد فهكذا الحكيم مدبر الكون رتب هذه الاصناف من الحيوانات وغيرها وعرف مقدار ما تخرجه المزارع بعد ترتيبها واحكامها فالميزان العمومى في يد الله تعالي يخفض ويرفع ويزيد وينقص على حسب ما اراد فى اخراج النتيجة والثمرة التي يختارها وكما ان رؤساء المصالح فى الحكومات اذا لم يكن لها رئيس اكبر يجمعها وينظر شؤونها مزقت كل ممزق ولم يكن لها نتيجة ألبتة فهكذا هذه الحيوانات ان لم يضع مدبر الكون لها حدودا ولم يلهم كلا رشده لم تحصل الثمرة المطلوبة ومن هنا نفهم قوله تعالي (أفرأيتم ما تحرثون أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) يشير الي ان الحرث انما قصد لانمائه والنبات يحتاج لامرين جلب المصالح ودفع المضار فيفعل الانسان جلب المصلحة وبالحيوان دفع المضرة ولذلك قال (لو نشاء

لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون)

ولما بلغ بنا المقال الى هذا المقام قال صاحبي قد عرفت شيئاً من عجائب الطيور الجارحة وغرائبها فهل لك ان تذكر لى شيئاً من عجائب الطيور غير الجارحة ليعرف من يطلع على مقالنا هذا كيف حال الطيور غير الجارحة مع الجارحة ويقارنها بحال الحيوانات اكالة الحشيش مع المفترسة فقلت ان الكلام على هذه الطيور يطول ولنذكر كلاماً اجمالياً عليها فنقول

تقسم باعتبار الماء والارض والهواء الى ثلاثة اقسام كلها زينت بالريش القصير على اجسامها الطويل فى اجنحتها وذيولها ليكون كدفة السفينة يساعدها على الدوران بسرعة يميناً ويساراً فى الهواء هذا مع مالها من الالوان المختلفة والاصوات العجيبة المتباينة

(المائية)

وانظر كيف ميز الله المائية عما عداها بزيت وضع فى ريشها طبيعياً ليقيها غوائل البلل وارجل منسوجة نسجاً عجيبا لتساعدها على العوم فى الماء كمجاديف السمكة والسفينة فانظر وتأمل كيف وضع للماء ماينا سبه من ذلك النسيج بين الاصابع . ومن ذلك الزيت الدائم الذى يقى من البلل . ولم تكن هاتان الخاصتان الا

فى هذا النوع وحده والبط والاوز من هذا النوع

(الهوائية)

اما الطيور الهوائية فقد دبرها الله بصنعة تناسب الهواء والتسلق على غصون الاشجار فجعل اجسامها صغيرة واجنحتها طويلة وصور الاصابع مستعدة ان تقبض بخفة على غصون الاشجار حتي فى اثناء النوم والعصافير والغربان من هذا النوع فانظر كيف صغرت الاحجام لتستقل بالطيران في الهواء. وكيف طالت الاجنحة لتقوى على ذلك. وكيف فصلت اظافرها صالحة للقبض على الغصون كما نسجت في الطيور المائية لسهولة العوم فى الماء

(الارضية)

أما الطيور الارضية فاجسامها كبيرة وارجلها قصيرة قوية واظافرها صالحة للبحث فى الارض والدجاج نوع من هذا . فتأمل ياسيدى كيف قويت ارجلها لكبر اجسامها وكيف كانت اظافرها غير منسوجة كالمائية ولا صالحة للقبض على الغصون كالهوائية بل مستعدة للبحث فى الارض لمناسبة المعيشة فيها . وهذه حكم عجيبة (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله

(عجيبة)

ذكر علماء الحيوان عن هذه الطيور عجائب لايسع المقام ذكرها نكتفى منها بمسئلة واحدة عن احد العلماء صاد خطافا ضربه بالبندقية فوق سطح البحر فوقع على الموج فانتظر ذلك العالم حتي يأتى به الى الشاطئ وبينما هو كذلك اذا باربعة من ذلك النوع احدق اثنان منهن بالمجروح كل واحدة امسكت بطرف جناح وطارتا به قليلا وتعبتا فنابت عنهما اختاهما فحملتاه امتاراً وهكذا مازلن يتناوبن الحمل بمرأى

(العصفور)

وهل اتاك نبأعصفور دورى أخبرعنه المستكشفون وذلك ان فيه حكما تخبرنا عن عجيب الاتقان فى تلك الصنعة الباهرة والحكمة الظاهرة وذلك ان هذا العصفور لا يبنى له عشاً وانما يبحث عن أعشاش نوع آخر من جنسه يماثله حجما وينتهز فرصة غياب صاحب العش ويضع فيه بيضته فاذا رجع صاحب العش لم يعرف الفرق بين العددين فيحضن الجميع وأول فرخ يخرج من البيضة ذلك الفرخ الاجنبي فيفرح به صاحب العش ظناً منه انه ابنه وقد جرت عادة الله ان من تعب فى شئ مستحسنا

له احبه ثم ينمو هذا العصفور بسرعة المقام حتي يضيق المكان اذ ذاك وتبتدئ الفراخ التي فى بيض صاحبة العش ان تنقر البيض بمناقيرها وتخرج واحدة بعد الاخرى فانظر كيف وضع الله في جوف ذلك العصفور الاجنبي ان يساعد امه الحنون الجديدة ويبنى عشاً آخر في اقرب زمن . وانظر كيف جعل الله في ظهره فجوة أو حفرة فيها يضع اخوته الصغار واحداً بعد الآخر وينقلهن الى العش الجديد فتأمل ثم تأمل كيف ساعد امه الجديدة على تربية ابنائها مكافأة لها على حضنه ثم استيطانه المكان الذى بنته فاعلك اذا تأملت هذه الحكم العجيبة تسعى لنفع امتك مثل ما علمك الاولون وتجدد مجدها

(الحشرات)

فقال لي ها انا علمت الحيوانات والطيور وترتيبها فارجوك ذكر شيء عن الحشرات فقلت اعلم ان الحشرات ازدحمت بها الارض بالوان مختلفه واحجام متفاوته تعمر اقطار المسكونة فى مشارق الارض ومغاربها فتصور نفسك جالسا فى بستان او حقل والليل ساكن والسمأ هادئة والاصوات ساكنة والحركات منقطعة فاذا تسمع حولك تسمع اصوات مختلفات بلغات متباينة

بتقاطيع دقيقة واذن ترى كانك في عالم غير عالم المنافتشوقك نفسك لان تقف على تباين الاجسام كما اختلفت الاصوات وتراها كلها ذات ارجل ست واجنحة بها تدب تارة وتثب اخرى ولنذكر طرفا منها ليدل بعضها على باقيها مما يشاهده الانسان كل يوم فى المنازل والحقول ولنبداء بالجراد ثم نعقبه بالزنانير فالنحل فالنمل فالعنكبوت لنعلم كيف اعطاها الله مع صغر احجامها قوة العم وسعة المدارك في الصناعة وان الانسان وهو سيد المخلوقات ان لم يتقن صناعته اقتداء بما وضع الله فى الطبيعة وما شرحه فى تلك الحيوانات الصغيرة فضلا عن الكبيرة نزل الي دركات الذل لتقصيره فى التشبه بالاقتداء بصنعة ملك الملوك اه

(الجراد)

هل يظن من يراها او يسمع باسمها الا انها طائر يضر بالزروع وهل يعرف المتفقه فى الدين (وهو بعد لم يفطن لما اشتمل عليه القرآن من حكم الكون ولطائفه وغرائبه) الا انها ميتة يحل اكلها هو والسمك فيقف عند هذا الحد ويكرر قول نبينا عليه الصلاة والسلام (احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال) او ماعلم انه قبل فى مقام الحلال والحرام لتهذب النفوس

أولا والتهذيب مقدمة لمعرفة العلوم وحكم الكون وفيه يقول الله تعالي (وفى الارض آيات للموقنين)

فلنذكر شيئاً من الحكم المودعة في الجراد فنقول ياليت شعرى ألم يكن من المدهش ان الجراد اذا سمنت ايام الرعى فى الربيع تعلم انها ستموت؟ ومن اعلمها انها آفة للزرع يجب حفظه منها وعلمها ان تحفظ بيضها فى مواضع تناسبه فتذهب الى ارض طيبة التربة رخوة الحفر مناسبة لتفريخ بيضها الذى لا تعلم انها تراه قط ثم تنزل هنالك وتحفر بارجلها ومخالبها وتدخل اذنابها فى تلك الحفرة وتطرح فيها بيضها وتدفنه ثم تطير وتعيش اياما ثم تموت باسباب عادية من ريح أو مطر أو برد فتأكلها الطيور ويبقى ذلك البيض في ذلك التراب

فاذا رجع الحول وجاءت ايام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء فانظر كيف تنشأ من تلك البيضة المدفونة في الارض مثل الديدان الصغار تدب على وجه الارض وتأكل العشب والكلأ وتظهر لها اجنحة وتطير فى الهواء وتأكل ورق الاشجار والثمر وتبيض مثل العام الاول وذلك دأبها من تقدير العزيز العليم (الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين)

(الكلام على الزنابير)

والزنابير الصفر والحمر والسود تبنى منازل وبيوتا فى الشقوق والحيطان وبين اغصان الشجر مثل النحل وتبيض وتحضن وتفرخ ولكنها لا تجمع القوت للشتاء ولا تدخر للغد شيئاً وقوتها يكون يومابيوم. ومتى جاء الشتاء ذهبت الى المواضع الدفيئة فتدخل في ثقب الحيطان والمواضع الخفية وتنام بها وتبقى جثتها اياما طويلة يابسة لاتتبدد اجزاؤها ولا تعانى مقاساة الحر والبرد والرياح والمطر. فاذا انقضى الشتاء وجاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء قامت من رقدتها واستيقظت من نومتها ونفخ فيها روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت وحضنت وخرجت أولادها مثل العام الاول

(النحل)

قد ذكرنا في كتابنا جواهر العلوم النحل وعجائبه واوسعنا المجال فيه واوردنا شواهد وآيات ونحن الآن نذكر ماتثرناعليه بعد من العجائب والحكم ليكون لكل كتاب مزية ليست فى الآخر

من النحل ما اوتى شعراً (يرى بالمكر سكوب) اسود

او احمر او اصفر اختلفت الوانه كما اختلفت طرقه في طلب الازهار. والنحل الكبير الذى يعيش فى الكلاء والحقول يموت فى الشتاء الا قليلا يتوارى فى اماكن تدفئ جثته حتي اذا جاء فصل الربيع وانتشرت الحرارة نفخ الله فيها الارواح وايقظها من رقدتها بعد نومها وبعثها من مرقدها فى برزخها فما اشبهها اذ ذاك ببعث الانسان بعد موته وبعث جميع الحشرات من نومتها العميقة فى نسيجها المسمى (شرنقة) فى أول نشأتها وقيامها من سباتها العميق فتبارك الله احسن الخالقين

يظهر ان قدماء المصريين ظنوا ان بعثنا على هذا المنوال فحفظوا الاجسام مشاكلة لهذه الحيوانات كما تراه في البرابى والاهرام والمقابر والحفائر القديمة وهيهات هيهات وانما بعثنا ارفع واجل من ذلك فهذا غلط منهم في شكله فاذا قامت النحل اخذت تطير في الحقول لتبحث عن اماكن تبنى فيها اعشاشها فمنها ما يتخذ حشائش يصنعها مساكن ذات منافذ من اعلى ليدخل النور وتقفلها عند مسيس الحاجة اليها اذا اقبل الليل أو نزل المطر أو الندى ثم تضع على حيطانها اقراصاً وقاية من الرطوبة ومنها ما يبحث عن شقوق ومناور في الارض او الجبل فيضع

اقراصه فيها وهذان النوعان من البناء هما اللذان يتخذهما النحل فوق الارض وتحتها. وبعد ذلك تضع النحل بيوضها في البيوت التي تتكون منها الاقراص وتسير سير كل حشرة فى القانون العام كما سنذكره فى النمل فتكون دودة فتنام فى كرة نسيجها حتي تقوم وقد اكمل الله اجنحتها وخرجت من مهدها باحثة عن غذائها فتذهب الى الازهار وتجنى الرحيق المختوم في اسافلها وتحمل تلك المادة الصفراء فى سفط (مقطف) على ارجلها الخلفية كون من شعر يحفظ تلك المادة ثم يجعل جزء منها شمعا يبنى منه الاقراص يملأه عسلا مما شربه من اسفل الزهر وجزء آخر يصنعه خبزاً لصغار النحل فتأمل كيف كانت الزهرة تحوى الشمع وخبز صغار النحل فى مادتها الصفراء المعدة للقاح (انظر كتاب جواهر العلوم) وانظر كيف كان العسل فى اسفلها واهتدى النحل اليها فما الشمع والعسل الا تلك الزهرة التي نشاهدها كل يوم ونحن غافلون عن حسن الصنع والاتقان الذى قام به النحل فيها ومن العجيب ان النحلة قد تسير ميلا للبحث عن غذائها ولا تضل طريقها وترجع الى اماكنها وانها تعرف طرق الحيل والدهاء كما ذكروا ان قوقعة اخذت طريقها الى خلية النحل فلما

رآها ازدحم عليها ولكن عرف انه لاسبيل الى ارجاعها فتربصها حتي اذا احتلت المكان وشربت من العسل تعاون الجميع على الصاق رأسها في الشمع ففارقت تلك المسكينة الحياة

﴿ عجائب النمل ﴾

حال النمل عجيب جدا فانها تفعل فعل الملوك وتدبر وتسوس كما يسوس الحكام. فهذا النمل كيف يتخذ القرى تحت الارض ولبيوتها أروقة ودهاليز وغرفات ذوات طبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوبا وذخائر وقوتا للشتاء. وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضا مصوبا تجرى اليه المياه وبعضها يكون حولها مرتفعا لئلا يجرى اليه ماء المطر. ومن العجيب أنها تخفى القوت في بيوت منعطفات من مساكنها الي فوق حذرا عليه من ماء المطر

وانى لاظن ان مايفعله قدماء المصريين فى مساكنهم من المنعطفات والدهاليز والاروقه انما كان تقليد النمل وما اشبهه من الجرذان

ولكثرة عجائب النمل وغرائبه ورد قوله تعالي حكاية عن سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (حتي اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان

والشعير ويقطع حب الكزبرة اربع قطع ثم انها تعلم ان ايام الصيف تنقضي فتغتنم مساعدة الوقت فتعمل ليلا ونهارا باتخاذ البيوت وجمع الذخائر ثم تأمل كيف تتصرف في طلبها قوتها يوما شمال القرية ويوما يمينها ثم تراها كانها قوافل ذاهبة جائية غادية رائحة

(مقارنة بين شرائع النمل والامم المتمدنة)

واذا اجتمعت على شيء ورأت ان واحدة تكاسلت عن المساعدة أو راوغت اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها كما في شرائع المصريين القدماء وتقرب منها شرائع الانجليز على ماسمعنا انهم يتركون الجائع القادر على الكسب حتي يموت ومن يساعده يعاقب كما أخبرني بذلك ثقه

﴿ حكاية عن النمل ﴾

لقد رأى رجل في زماننا هذا ان النمل يتكاثر على شجرة في حقوله فعمد اليها وحفر حولها وملأ الحفرة ماء وظن انه نجا منها وبات ليلا خالي البال منشرح الصدر مطمئناً على شجرته وما كان يتخيل ان للنمل حيلة فوق حيلته وان هذه الحيوانات امم امثالنا فاصبح فرأى الورق مغطى بالنمل فعض يديه ندامة وحسرة ونظر الحفرة فوجدها كما هي مملوءة بالماء

وبينما هو يتفقد السبب اذ رأى اوراقا متراصة على سطح البركة من شاطئها الى جذع الشجرة والنمل يمر عليها كانها قنطرة الى حيث تطلع على تلك الشجرة

كنا كتبنا هذا الذى تقدم في النمل ثم عثرنا في الكتب الحديثة الافرنجية على ما يأتي وترجمناه مع التلخيص فى القالب العربى المبين ونهجنا نهجنا في الاستنتاج والاستدلال

ايها الاخ لعلك اذا شاهدت الحقول والمزارع ونظرت مافيها من الحشرات المختلفة الالوان والاشكال والمقادير والغرائز والصفات اعجبك اختلاف مناظرها وادهشك حسن مناهجها منظر لا يعبأ به الجاهلون الذين ينظرون مافى السموات والارض وهم عن آياتها معرضون . تلك الحشرات والهوام يزيد عدد اصنافها عن عشرات الالوف كما حققته فطاحل العلماء واهم تلك الحشرات النمل اذ فى دراستها تبصرة للانسان وتذكرة وبهجة لعقله وانس لنفسه كيف لا وانت اذا شاهدت جسمها رأيته مكونا من رأس حوت الدماغ الذى يسع تلك السياسات والعلوم والمعارف التي سنشرحها ووسط كصندوق فيه الرئة وذنب اسطوانى وله ستة ارجل كباقى الحشرات بها يقدر على الجرى

السريع والعدو فى طلب المعيشة وجناحين بهما يمكنه الوثوب من مكان الى آخر وخمسة اعين عينان مركبتان على جانبي الرأس مكونتان من اعين بسيطة ملتئمة الوضع والتركيب والترتيب بحيث ترى كانها عين واحدة تعد بالمئات والثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث يعلو على هاتين وهذه الاخيرات اعين بسيطات لا تركيب فيها

فتأمل بعقلك واحكم بعدلك وتعجب من صنعة لا يكاد العقل يصدقها لولا اجتماع آراء العلماء في العصر الحاضر عليها وياليت شعرى كيف تكون العين المركبة مع عدم تمكن البصر من ادراكها لشدة صغرها حاوية لثلاثمائة عين مثلا وكل منها لها قرنية وقزحية وزجاجية وعدسية محدبة الوجهين وقوام هلامى فى الوسط واربطة واعصاب حساسة واصلة الى المخ حتي ترسم المرئيات في الدماغ عند المدبر الحاكم فيه . لعمرى ان هذه العجائب تخر لها اعناق فحول العلماء سجدا ويقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) نار الجهل فى الدنيا والتقهقر في المدنية ونار الآخرة التي تطلع على الافئدة ومن ذا الذى يقف فى دياجى الظلمات ويسمع اختلاف اصوات

الحشرات ونغماتها المزدوجة فينكسر ان من بينها ماحوت هذا الجمال البديع والعيون الظريفة التي تمثل شكل النجوم المشرقات فى دياجى الظلمات ولكن عيون النمل ابدع فى الاتقان واتقن فى الصنع من كواكب السموات اذ تلك العيون المرصعة فى رؤس النمل دبرت تدبيرا خفى الا على ذوى الفطنة وبها اهتدى احقر شئ فيما نرى واصغره ودقة الصنعة واتقانها تعظم قيم الاشياء عند العقلاء فلا دخل لعظم الجثة وكبر الحجم

ولها قرنان طويلان كالشعرتين دقيقتان بهما تحس الاشياء وتقوم مقام اليدين والرجلين والاصابع في الحمل والحط والترحال يسميان الحساستين هذا تركيب جسم النمل وهذا وضعه

(فى مساكنه)

لعلك ايها السيد اذا سمعت ماتلوناه عليك وحدقت نظر بصيرتك وتأملت بفراستك تعلم ان هذا الاحكام لم يكن الا لغاية وهذا الصنع لثمرة واعمال وسياسات والا فبالله ماهذه الاعين الكثيرة وما هذه الارجل وماتلك الاجنحة ولهذان الحساسان اخلق عبثاً ام تراه مستعداً لاعمال عظيمة تناسبه اجل لاغرو انك تتربص ثانى الامرين وانى ارى نفسك قد شاقتك الى معرفة

ما ترتب على هذا الصنع من الاعمال الجليلة وقد استعدت قريحتك لما القيه عليك الآن فاقول ان هذه الحشرة بمقدار ما اتقن الله من جسمها اتقنت من صنعها وعلى قدر كمال احساسها وجمالها ادارت سياساتها وملكها وحروبها وزروعها وهل اتاك نبأ البيوت التي تتخذها تحت الارض وتجعل لها اعمدة وبهوات متسعات (صالات) في كل بهوة ابواب مفتحات الى حجر صغيرات تسكن فيها واخر تخزن فيها الحبوب والغلال وبينها الطرق والمسالك والشوارع بحيث تهتدي بها الى اعلى الارض ويجتمع من تلك البيوت وبهواتها وحجراتها واعمدتها قرى كاملة ذات بيوت كثيرة والاغرب من هذا انها قد تملك عدة قرى كانها مستعمرات تصل بينها بطرق كما تفعل الامم المتمدينة وتصل بين مستعمراتها بالسكك الحديدية ومن العجيب انها لم تقتصر على فن واحد من العمارات بل هناك نوع آخر يبني البيوت فوق الارض من اوراق الاشجار والاغصان وقشور الخشب المتساقطة من الاشجار العتيقة وتبني مساكن فوق الارض كالتي تحتها وترى امام الناظر كانها آكام ما بين عشرة اقدام الى خمسة عشر قدما ويكثر هذا تحت شجر الصنوبر وهناك نوع ثالث ينحت من الاشجار العتيقة

بيوتاً كما يتخذ الانسان من الجبال بيوتاً ومن يتأمل صنع قدماء المصريين في السراديب تحت الارض والمغارات والتجاويف وما بنوا فوقها من الاهرامات والبرابي وما نحتوا من الصخور في جوف الجبال كما يشاهد بين مصر وحلوان وغيرها وجد ان الانسان في تحسينه مدنيته يصل الى درجة الحيوان في صناعته فان هذه الانواع الثلاثة هي التي هدى اليها النمل بفطرته بلا تعليم ولا مدرسة

(احواله المعيشية وزراعاته وتربيته ماشيته وحربه واسره)

وهذه البيوت المنتظمة تستلزم عادة اعمالا خارجية تناسبها وتناسب استعداد هذه الحشرة وكما اختلفت انواعها في بناء مساكنها اختلفت في طرق معاشها واكتسابها فمنها نوع زراع يزرع الارز في ارض صالحة له ولو تأملته ياسيدي لوجدت حقلا جميل الشكل حسن الوضع وفلاحين غادين رائحين لهم طرق زراعية يعجز عنها الانسان لاحكامها وحسن هندامها ولقد شاهدت صورة رسمها السياح في الكتب الاجنبية فوجدت للحقل الواحد اربع طرق زراعية هندسية والارز متمايل عليها بحيث لا ترى ورقة من تلك الاوراق اصابها ادنى ضرر او وسخ وفي وسط

الحقل بهـو (صالة) متسعة على هيئة شكل بيضاوى مشاكلة للنظام الذى تسيرفيه الشمس وهى الدائرة السنوية البيضاوية وكهيئة اوراق الاشجار وهذا النوع كالامة المصرية امة زراعية ومنه نوع عمد الى الماشية فتغلب عليها أولا بالأس والشجاعة ثم آنسها وتسمي باللسان الافرنجى (أفس) ونسميها نحن بقر النمل وذلك لان النمل بعدان يقهرها ويغلبها ويستأنسها ويستحوذ عليها بقوته يأخذهافي مرعى خصيب وهو ورق الورد واغصانه فيلاحظها وهى تمتص منه حتي تمتلئ ثم تأتى النملة الى واحدة من تلك الجاموس وتمتص مادة حلوة يستلذها النمل لانه يميل للحلوى حتي اذا امتص مافى واحدة ذهب الى اخرى واخرى حتي يمتلئ ذلك عادة هذا النوع وقد فعل النمل فعل الانسان في استئناس الحيوان والانتفاع بالبانه وغيرها وهناك نوع ثالث عمد الى الحرب والقتال وتغلب على حيوانات اخرى فسخرها في اعماله وشغلها فى فلاحته واطعامه واطعام أولاده فيخرج في الحروب بنظام ويحكم الاحكام العسكرية الصارمة واذا غلب اخذ الاسرى وفعل كالانسان

(تربية الصغار)

وليس اعجب عندالعاقل من تربية النمل لصغاره فلونظرت لرأيت الاناث وهي تضع بيضاً اصفر اللون أو ابيضه فى محال تقرب من مساكن كباره قد خصصت له مراضع ومربيات تلاحظهن ليلا ونهاراً

ولا يزال فى الطقس والحرارة المناسبتين له حتي يتم له اسبوعان او اكثر الى اربع ثم نرى كل البيوض قد تفتحت فاخرجت دودا صغيراً لا جناح له ولا رجل . بيضاوياشكله محدبات رؤسه يعتنى به المرضعات وتلاحظه المربيات تحمله من مكان الى مكان مواظبات على اطعامه ماينا سب حاله من حار تارة وبارد مرة اخرى ومزدوج منهما فى الدرجة المناسبة حسبما تقتضيه الحال كل هذا والدود يشره فى اكله ويستزيد من طعامه حتي اذاتم له بضع اسابيع اخذت حالته تتغير وينتقل الى طور آخر من الحياة هـو طور النوم والسكون والاختفاء فى شكل كرى من حرير تغزله نفس الدودة على نفسها كدودة الحرير فلورأيت ثم رأيت بعض الدود لم يزل مكتوفا والبعض اخذ يغزل بفمه كما يغزل دود الحرير والعنكبوت والبعض قد نسج على نفسه كرته

ونام في عالم البرزخ الى يوم يبعث من مرقده فيخرقها وترى الامهات اذ ذاك ملاحظات متيقظات فاذا تم النسج ونام الجميع ومضت ايام اخذت تلك العوالم تنهض من قبورها وتقوم من موتها وتنهض من رقدتها وتقطع خيوطها وتقرض حريرها المحيط بها ولذا خلقت لها الارجل والاجنحة لتستعد لحياة جديدة هي الحياة النهائية حياة الجهاد والعمل ولو رأيتها لشاهدت امهات قد اشرفن على الابناء وقد ربطت اجسامها ربطاً محكماً وثيقاً فاخذت الامهات يفككن الاربطة من الصغار ويطلعن الاجنحة والارجل ويخلصن الناشئة النابتة من تلك الرباطات ويغسلن العيون والوجوه ويمسحن التراب ويزلن الاوساخ لان النمل يحب النظافة حباً مفرطا فانظر وتأمل كيف كان جسم النمل وخلقته مستعدة لامور عظيمة وقد هدى اليها بغريزته ومن هنا نفهم قال (ربنا الذى اعطي كل شئ خلقه) ومنه يعلم الحشر بطريق الفراسة وذلك ان هيئة النمل في شكله وعيونه وحواسه وقواه تناسب هذه السياسات الغريبة والاعمال العظيمة فاهتدى لها فهكذا فليكن الانسان لما سخر له ما فى السموات وما في الارض وعشقت روحه العلوم والمعارف ومال بغريزته اليها وجب ان يكون وراء

هذا سر يناسبه والا فما هذا الاستعداد وما هذا الميل العجيب لاقتناص العلوم وحب الخير واذا كانت النملة وهي دودة تكمل خلقتها لتناسب الحال المستقبل فى الحياة ولا علم لها بها قط فهكذا الانسان دبرت روحه فى الحياة وربيت فلابد لهذا من نبأ (ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون)

وهناك نكتة اخرى وهي ان من رأى فى نفسه استعداداً لامر وشوقا اليه فليعلم ان مقتضى الحكمة ان ينال مطلوبه لان الاستعداد داع حثيث والكائنات اطوع للمستعد من غيره وهذا صدقناه بالبصيرة والنظر

(حكاية عجيبة عن النمل)

قضى عالم من علماء الرومان طول حياته فى النظر فى حال هذه الكائنات الصغيرة فشاهد نملة تشتغل طول يومها فحسب ماحفرته وبنته فى ذلك اليوم ونسبه الى جسمها وشغل الانسان وجسمه فوجد انها لو كانت رجلا مشتغلا هذا الشغل لحفر خليجين كل منهما طوله اثنان وسبعون قدماً وعمقه ٥ و٤ اقدام واخذ هذا الطين وصنع منه اجراً وبنى به اربع حيطان على اربع الجوانب للخليجين كل حائط من قدمين الى ثلاثة ارتفاعا ونحو

١٥ بوصة سمكا وغلظا ويدعك تلك الحيطان من الداخل فتصير ملساء وكل هذه الاعمال بلا مساعدة آخر في النهار كله وذلك كله مع فرض ان الارض مملوءة بلا عشاب الصغيرة والاخشاب والاشجار وجذوعها الهائلة والارض وعر والمسالك فيها آكام من الردم فاذا فعل هذا رجل كان اعجوبة زمانه وهو عادى بسيط عند النمل (فتبارك الله احسن الخالقين وفي الارض آيات للموقنين)

﴿ العنكبوت ﴾

خلق العنكبوت ذا ستة ارجل كجميع الحشرات علمه الله بالالهام من الصغر فى ابان حياته انه ينسج بحيث تتساوى كبارها وصغارها والامهات واولادها فى الغزل والنسيج فلا عنكبوت الا وقد اوتى هذه الصفة بلا تعلم ولا تعليم ولا مدرسة كمهلهة ولا تخريج ولا درس ولا تنقيب كما فطرت صغار البط على العوم في الماء عقب كسر بيضها وهكذا جميع الطيور والحشرات ولما كان هذا التعليم غريزيا آليا لم يدخله الغلط ولا السهو بخلاف النوع الانسانى ولذلك احتجنا الى ان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم دفع عن امتي الخطأ والنسيان فلا يقع من العنكبوت في

نسيجه ولا غزله غلط بل تراه يحكمها باتقان مع التأنى والتثبت فترى خيوطا متينة وشبكاتها محكمة الوضع هندسية الشكل وقد قال علماء العصر الحاضر لو اجتمع كل نساج وغزال فى الدنيا وقوبلت صناعتهم بصناعات العنكبوت لفاق الثانى الاولين وغلب الحيوان الاعجم هذا الانسان (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)

﴿ العنكبوت البناء ﴾

كل عنكبوت فى الدنيا غزال ونساج وبعض الانواع بناء يبنى منازل يشاهدها الناس في اماكن كثيرة فى حجم الكستبان يقفلها من الداخل بقفل لم يقف احد من علماء الحشرات على كنهه حتي يأمن من دخول عدو مهاجم او سارق فتأمل كيف اعطى قوة وحكمة عجز عنهما الانسان فى البناء كما أوتى النحل في بناء مسكنه فوق الارض واحكم المنافذ للنور واقفلها عند الرطوبة او البرد وكل هذا ياسيدى يدلنا على ان هذا العالم يشمله تدبير عجيب من ادنى ذرة الى اكبر كوكب وما الذ النظر في هذه العوالم والعلوم وما اجل الحكمة وابهجها ان ربك هو

الخلاق العليم الا فليبتهج بهذا العالمون وليفرح الحكماء المدققون

(عنكبوت البساتين)

وهناك نوع يسكن البساتين وما شابهها تراه ياسيدى مضطراً الى الانتقال من شجرة الى شجرة ومن غصن الى غصن فماذا يصنع يا ترى الهمه الله ان يبنى قنطرة بين الشجرتين أو ممشى بين الغصنين كما يصنع نوع من القرود في امريكا قنطرة كما تقدم ولكن طريقة العنكبوت فى قنطرته اعجب فتلك بالاجسام وهذه بخيط واحد يخرج من فمه مخلوقا من لعابه اذا لامس الهواء جمد فيمتد فيه بعد تثبيت احد طرفيه ولا يزال الطرف الآخر يغدو ويجئ حتي يمسك بورقة أو غصن فيمر عليه العنكبوت وبهذه الطريقة نجا عنكبوت من الموت فى حكاية

(الحكاية)

حكى انه وضع عنكبوت على عود في ماء قريب من شاطئ جزيرة فنزل من اعلى العود الى اسفله فوجد الماء محيطا به فرجع الى اعلى ثم اخذ يفكر فى حيلة اهتدى بها الى ان غزل خيطا وثبت احد طرفيه فى رأس العود ولا زال الطرف يغدو ويروح حتي

امسك بغصن من الشاطئ الآخر فسار عليه حتي نجا سالما وهذا النوع البستانى ينسج على الاغصان والاوراق شبكة عجيبة يقتنص بها الذباب وغيره فيتخذ بها مركزا يقيم فيه ويمد خيوطه الى جميع الجوانب فشكل اطرافها محيط ذلك على الاوراق والاغصان وتلك الخيوط اقطارها والعنكبوت رسامها وغازلها وناسجها ومهندسها والصائد بها وما اشبه تلك الخيوط باعمدة العجلة (البسكليت) فاذا احكمت تلك الاعمدة بخيوطها المجدولة اخذت العنكبوت تجدل خيوطاً اخرى فادارتها على هذه وربطتها ربطاً وثيقاً محكما عليها مع التناسب في الوضع والاحكام والهندسة بحيث ترى بين كل خيطين من تلك الاعمدة وآخرين من الملتف عليها مسافات متساويات هندسية ومنها تكون شبكة للصيد عجيبة الصنع جميلة الوضع (فتبارك الله احسن الخالقين وفى الارض آيات للموقنين) وهذه الشبكة قلدها الانسان في صيد السمك للقوت وفى صنع زينة منسوجة من الحرير منقوشة بالذهب مرصعة بالحلى اهتدى لها الانسان المتمدين بعد الآلاف من الدهور والعصور والسنين تفتخر به الفتيات الافرنجيات فى اتقان الصنعة وحسنها فانظر كيف كانت نهاية الانسان بداية الحيوان

لعله يهولك غرائب العنكبوت اذا عاينت أثرها انما تنسج ماتنسج بمؤخر رجلها فلا تحتاج الى النظر بعينها فاذ قطعت خيطانها قبل الغروب ثم نظرت لها عند شروق الشمس فى اليوم الثانى رأيت شبكتها نسجت كما كانت مع صبره وتؤدبه وتثبته وأنه يأتى بقطع صغيرة من الحجارة والخشب يضعها على نسجه ليثبته حافظاً له من التكسر واطاعة الرياح الهابة والاعاصير والزعازع وانه يبحث عن صمغ وغراء من اماكنها فى اشجارها ويلطخ بها خيطانه وشبكته ليكسبها الزوجة فلا تتمزق اذا فاجأتها الرياح وهاجت عليها الاعاصير واذا مر بها الذباب التقطته بمادتها اللزجة ولم يؤثر على الشبكة حركته فتأمل كيف صلحت بالغراء لامرين امساك الذباب والتمدد باللزوجة لئلا تنقطع ومتي امسكت الذبابة بالشبكة التي صنعت لهذه الغاية اسرع العنكبوت فى الحال اليها فعضها وجرى السم فيها فماتت فأكلها ومنه نوع يقرب من اليمام في الحجم يصطاد الطيور كما يصطاد الصغير من الذباب والحشرات وقد تمر النحل بشبكته فيرجو اكلها ويخاف لسعها فيصبر عليها حتي تتعب ثم يأخذ فى ان يديرها بخيط يلفه عليها ويدور سريعاً سريعاً حتي لايبقى بها حراك ثم يقتلها بسمه ويأكلها

فهذه عجائب العنكبوت غفل عنها اكثر الناس وهم لا يشعرون

﴿ الهوام ﴾

تقدم تعريفها وهى تشمل عوالم كثيرة ونخص بالذكر منها ماله اتقان وحسن صنعة ولنقتصر على دودة الحرير والقطن فنقول

﴿ دودة القطن ﴾

كل من درس علم الحيوان يتحقق ان الحشرات تكون بيضاً فدوداً فكرة تسمى (شرنقة) فطيرا ذا اجنحة وارجل وهذه الدودة التي تفتك بالقطن اصلها من ابى دقيق وهذا الحيوان ذو شكل جميل ولون بهج يظهر فى شهر مايو فيبحث الذكر على الانثى حتي اذا اتم اللقاح وحملت مات الذكر اذ لا لزوم له فتأمل كيف بقى الى وقت الحاجة وذهب عند زوالها كما تقتل النحل ذكرانها عند حمل اكبر الاناث وهى الملكة لعدم لزوم اولئك الذكران كما اوضحناه في كتاب جواهر العلوم باجلى بيان واظهره وهذه اشارة طبيعية من مبدع الكون الى ان كل شئ عنده بمقدار (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) فاذا تم الحمل باضت الانثى على ورق القطن فى اوائل

شهر يونيه قبل نزول النقطة ومن العجيب انها تصنعه بانتظام
وان كنت فى شك فاذهب الى قطنك بنظارة عظيمة وتأمل
حكمة الله في وضع هذه البيضات بانتظام مكبرة هندسة متقنة
وشكل جميل ثم تنشف ريشها وتغطيه فيكتسب لونا مصفراً
ترابياً فوق الورق ومن العجيب انها بعد تلك الهندسة ووضع
الريش تلق حتفها وترجع الى ربها لانها اتمت وظيفتها وخرجت
من الدنيا كما يفعل الفيلسوف العظيم يسعى بنفع امته وترقيتها
حتي اذا اتم عمله رجع الى ربه وفارق الدنيا فرضي عنهم ورضوا
عنه ولايكون الانسان كاملا الا بان يصل فى عمله الى هذه المرتبة
كما قيل بداية الحيوان نهاية الانسان ثم بعد نحو ١٠ ايام
ينفتح البيض ويخرج منه دود ويظل يا كل فى ورق القطن نحو
سبعة ايام فاذا اشتد الحر عليه مات اكثره الاقليلا واذا اعتدل
فانها لاتزال تأكل حتي تسمن وتنسج عليها نسجاً حريرياً كما
تفعل دودة الحرير وسواء كان الدود قليلا في الحالة الاولى أو
كثيراً في الثانية فان النسج الذى تنسجه على نفسها المسمي
(شرنقه) يبقى عليها لا تؤثر فيه عاديات الجو ولا الرياح العواصف
ويبقى في الارض ملونا بلونها لا يعبأ به ولا يميز بينه وبين مايجاوره

من طين الارض ومدر ويجرى عليه الحرث والزرع والسقى
ولا ينخرق ولا يتمزق وتلك الحشرة ساكنة فيه نائمة مطمئنة
ماتدرى ما على الكرة الارضية ومايجرى فيها من حرب وسلم
وخصب وقحط كما ان الناس بعد موتهم فى عالم البرزخ لايشعرون
بعالمنا هذا وانما حياتهم فى عالم غيره حتي اذا جاء العام المقبل وهو
شهر مايو خلقت لها الاجنحة وتلونت بالوانها البهية ثم مزقت
شرنقتها وبعثت من قبرها وطارت فيها وفعلت فعلها فى العام
الاول (فتبارك الله احسن الخالقين وفى الارض آيات للموقنين)
وقد ظن كثير من الناس انه ندى ينزل على الاشجار أو غير
ذلك وهو خطأ محض وقد يقول البعض وهم الفقهاء ان سببها
الغيبة والنميمة وان المغتاب تخرج الفاظه وترمى في البحر ويخرج
منها الدود ولقد علمت الحقيقة وغاية مايمكننا في فهم هذه العبارة
ان نقول ان الامة متي اكثرت الغيبة والنميمة كثرت العداوات
وكثرة العداوات تدعو الي المشاحنات والمشاحنات تفوت العلم
الذى منه الطبيعة وعدم تعلمها ينشأ عنه الغفلة عما يضر بالزروع
مثلا ومايضعها وتلك الغفلة هى السبب الاخير لضرر الزروع
وضررها ينتج الاخلال بحياة الانسان والحيوان وهناك يكون

الخراب الدنيوى بالفقر والاخروى بجهنم فهذه كالكناية في علم البيان المسماة بالتلويح وكثير من الناس ينسبون انحطاط المسلمين الى المعاصي وهو حق بهذه الطريق فالمعصية العملية قد ذكرنا نموذجها في هذا. وهناك معصية اعتقاديه ترجع للجهل فاكبر معاصينا الآن الجهل ومتى جهلنا ماحولنا من الكائنات حرمنا فوائدها ففاتنا الاولى والاخرة ولاينفع المسلمين الا معرفة جميع العلوم كما انبأ عنه القرآن في كل موضع (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)

﴿ دود القز ﴾

دود القز لايكون الا على شجرة التوت والغضا في الجبال فترعى فى مرعاها آمنة مطمئنة فاذا شبعت ايام الربيع وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها فى رؤس الاشجار ما يشبه اعشاش الطيور المعروفة ثم تنام فيها اياما معروفة فاذا استيقظت من رقدتها طرحت بيضاً فى داخل كنها الذى نسجته على نفسها ثم ثقبته، وخرجت منه وسدت ذلك الثقب وظهرت لها اجنحة وطارت نتأكلها الطيور اوتموت من الحر أوالبرد أوالمطر ويبقى ذلك البيض محروزاً ايام الصيف والخريف والشتاء من الحر

والرياح والامطار الى ان يحول الحول وتجئ ايام الربيع وتم خلق ذلك البيض في ذلك المكن ويخرج من ذلك الثقب مثل الديدان الصغار وتدب على ورق الاشجار اياماً معلومة فاذا شبعت وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها مثل العام الاول كما في رسالة الحيوان

ولما اتممنا المقالة على الحشرات والهوام التي اردنا ذكرها وابنا فيها جمال صنع الله سبحانه وتعالي قال لي صاحبي ها انا قد عرفت نموذجا عن الانسان والقرود والسباع والوحوش والانعام والبهائم والجوارح والطيور والحشرات والهوام ولم نسمع شيئاً عن حيوان البحر فارجو ان اسمع شيئاً عن عجائبه مما اشرتم اليه سابقاً ووعدتمونا به فقلت ان عجائب البحر لا تكاد تحصر فقدجمع من الحيوانات والمعادن والجواهر الثمينة مالا يكاد يخطر بالبال ولقد ذكرنا شيئاً كثيراً فى كتابى ميزان الجواهر وجواهر العلوم ولكن لابد لنا من ذكر حيوان عجيب فى كتابنا هذا من حيوانات البحر لم يذكر في ذينك الكتابين ويشوق النفس الى التأمل فى جمال البحار وما فيها من الغرائب ولعلنا اذا وفقنا نضع كتابا فى عجائب البحر ان شاء الله تعالى وكان يجب السؤال

عنه في موضعه بعد ذكر الطيور وقبل الحشرات

﴿ كاب البحر ﴾

هذا الحيوان يسكن في جهات كندا وفى امريكا الشمالية وهو يكون جماعات تتحد على الاعمال وتفعل فعل الامم الراقية فى الصنائع وفن العمارة ولها مغارات واجحر وسراديب تحت الارض لتسكن فيها زمن الحر ولا تزال فيها حتي اذا اقبل فصل الشتاء وهجم بخيله ورجله عرفت تلك الحيوانات بوادره فاجتمعن زرافات وجماعات ما بين المائتين وثلاث المائة فاخذن يردن الاماكن وينظرن اصلحها واحسنها على شريطة ان يكون على شاطئ نهر جار ليبنين مساكنهن فيه ليكون الماء حصناً حصيناً من هجمات الاعداء كما سترى ومخزنا نفيساً يقيها من الثلج القارص القابض وعلى ذلك تأتى هذه الكلاب ليلا الى الاشجار المقطعة على ضفتي النهر وتقطع غصونها وكتلها الكبيرة حتي تسقط على سطح الماء الجارى فيأخذها في تياره ويسير بها حتي اذا حاذت المكان المنتخب للبناء اوقف أولئك الكلاب سير الاخشاب ثم اخذن يكسرنها قطعاً قطعاً حسبما يقتضيه بناء السد ثم اخذن يغرسنها فى اسفل النهر بهيئة تكون سداً منتظماً بين الشاطئين

معارضاً جرى الماء كسد العرم لبلقيس وخزان اصوان وملأن ما بين تلك الاخشاب بالاحجار والطين ولو رأيت ثم رأيتهن غاديات رائحات والطين والاحجار بين افواههن وايديهن وبعد الفراغ من ذلك يجتمعن كل عشرة أو اثنى عشر منهن ويبنين بيتاً ذا غرفتين عليا للسكنى وسفلى لخزن الاقوات من قشور خشب الاشجار كالحور ويتكون من تلك البيوت هيئة قرية ومن العجيب ان الابواب لا تفتح الا تحت الماء بنحو ثلاثة اقدام أو اربعة حتي لا يصل اليها احد بسوء وليس لها ابواب سواها فاذا اشتهت الاكل وهى فى الغرف العليا تدلت الى السفلى المملوءة بالماء الداخل من الباب فتناولت تلك القشور الآمنة من الثلج المتراكم على سطح البسيطة والماء اذ عادة الماء من اسفل ان يقى من الثلج ولما علم اهل تلك الجهات ذلك وان هذا الحيوان حريص على سده اخذوا يحتالون على صيده بفتح سده فتخرج تلك الحيوانات سراعا سراعا الى سده فى اسرع من لمح البصر فيصطاد منها الصيادون اثناء محاولة اصلاح السد فتأمل كيف اتحد هذا الحيوان على المصلحة وكيف عرف ما درسه الانسان في قضايا ارشميدس التي بها تجرى السفن فى البحار وكيف اتحد

على الاعمال وفعل فعل اعظم الامم المتمدينة وكيف عجز اهل الشرق عن تقليده فى اتحاده وكيف وضعت له اسنان حادة بها يقطع تلك الاشجار اغنته عن الآلات والادوات وكيف عرف ذلك كله بلا تعلم ولا تعليم (فسبحان الخلاق العظيم)

ولما فرغنا من الكلام على اصناف الحيوان جميعها . قال صاحبي ان للحيوان اطرافا مختلفة فما فى البحر تخالف مافي البر والهواء فأرجو ذكر كلام شاف لاعرف حكمة الصانع فيها فقلت

(تشابه الاطراف)

اعلم ياسيدى ان حكمة الله دقيقة الصنع جدا حتي انك لترى اطراف الحيوان تكون في كل حال بما يناسبها فبينما تراها مجاديف للاسماك في البحار اذا هى ارجل تتكئ عليها الحشرات على حسب ماينا سبها فاذا ارتقيت الى الطيور رأيت عجباً رأيت ارجلا منسوجة اصابعها فى طيور الماء تدفع بها لتسير فيه للرياضة والاستحمام والرزق واخرى لانسج بها بل تحفر بها الارض كالدجاج او لدنة تمسك بها الاغصان كالغراب مع اجنحة للجميع للطيران فانظر كيف ناسبت الارض والهواء كما ناسبت اطراف السمك الماء

ثم تأمل فى الطيور الجارحة تر ما كان نظيره نافعا للماء أو الهواء هنا سلاحا ماضيا حادا يقتنص به غذاءه وعكس ذلك فى اكلة الحشيش ذات الحوافر والاظلاف واعرج بعدها الى الانسان فترى أثر القدرة الالهية فى احكام الايدى وصلاحيتها لجميع الصناعات والارجل للوضع الهندسي الموزون وتأمل كيف كانت اطراف كل حيوان مناسبة لما يحتاجه ويريده (وماكنا عن الخلق غافلين)

(الحيوانات امم امثالنا)

ومن هنا فلنفهم قوله تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحه الا امم امثالكم) فيكون لها تدبير كتدبيركم وهندسة واحكام كلها معلومة ولولا هذا الحساب لاختل النظام وفسدت الاحكام

ولولا اننا كتبنا هذه النظامات عندنا لما بقى لها وجود لحظة واحدة وكيف يبقى ما لا نظام له ولا ترتيب بل لو اخلانا واحدة لسرى الخلل الي الجميع اذ الكون كله كساعة واحدة (مافرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون)

﴿ قسمة عادلة بين الحيوان الصغير للحكمة والكبير للعمل ﴾

أعلم ان الحيوانات الكبيرة قادرة على حمل الاثقال ومعاناة المشقات والصعوبات واما الحيوانات الصغيرة فانها ممتازة فى الاحكام فى العمل كالنمل في بيوتها والنحل في مساكنها واعمالها والعنكبوت فى نسجها والارضة فى بنائها من الغبار المجتمع مع الندى مساكن محكمة والجراد ودود القزفكل هذه ذات حكمة وصنع متقن يعجز عنه الانسان فقامت دقة الصنعة مقام القوة والصبر على الاعمال فهذه قسمة محكمة عظم الجثة مع الاعمال وصغر الجثة مع الحكمة (ان ربكم لرؤف رحيم) (ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) فتأمل تر ان الجمل والفرس والحمار والشاة والارنب لا قدرة لها على الحكم والصناعات والهندسة والرونق واختصت الحيوانات الضعيفة بذلك ليظهر عدل مبدع الكون وحكمته ولن تعرف حكمة الخالق الا بالنظر في هذه الاشياء الجميلة وهذا ماينبغى أن ينفق المال فى تحصيله ولذا ترى القرآن يذكر هذه الحيوانات الضعيفة لينبه العقول اليها ويصرفها الى وجهتها وترى انه ذكر سورة النحل والنمل والعنكبوت لذلك

ثم ان هذه الحيوانات كلها يأكل بعضها بعضا لافرق بين كبير وصغير ليظهر العدل في الموت كما ظهر فى الحياة وفي العدم كما

ظهر فى الوجود وذلك ان العصافير والقنابر والخطاطيف وامثالها تأكل الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها ثم ان البواشق والشواهين وما شاكلها تصطاد العصافير والقنابر وتأكلها ثم ان البزاة والقصور والنسور تصطادها وتأكلها ثم انها اذا ماتت اكلها صغارها من النمل والذباب والديدان وهكذا بنو آدم فاننا نأكل جميع الحيوانات الطيبه اللحم فأذا متنا اكلنا الدود وهكذا شأن هذا الكون كله كانه دائرة اولها آخرها وصلاح شئ فساد آخر وما فساد الا بأصلاح وفى الحقيقة لافساد معقول

(العالم مدرسة كبرى والله سيدها والناس الطالبون) ثم اخذت بيده وسرنا في فلاة ذات اشجار وانهار ومزارع وحقول وقد ضربت السماء علينا قبة زرقاء تحجبها أخرى من السحاب الملون بالسواد في موضع والبياض في آخر والنسيم يلعب بالاغصان وهو عليل فأخذنا نجوب اطراف الغيضة ونتمشى فى جوانبها وقد خلالنا فسيح الجو وعرفنا نعمة سكون الضوضاء والجلبة خارج القاهرة وتذكرنا فى الفلاة حال الجنة وانها لا لغو فيها ولا تأثيم لايسمعون فيها لغوا الا سلاما فاهتاجت نفوسنا لمحاسن جمال الطبيعة وتأملنا فيما حولنا اذا بجماعات من النحل واخرى من

النمل وغيرها من الطيور فصفا الفكر ومال الي تذكر
ماعرفناه وما كاد القلب يذكر الاوقد فاجأني صاحبي بقوله نحن
قد عرفنا اتقان هذه الحيوانات فى غدوها ورواحها ومستقرها
ومستودعها واني لاذكر ماقرأته آنفا عن النمل وانها تبنى مساكنها
بأعمدة منتظمة وترضع اولادها وتغسلها لتنظفها وتأخذ الاسرى
تحت سيطرتها وتقتنى حشرات كالانعام عندنا فتمتص لبنها
بخراطيمها وتزرع الارز بهندسة عجيبة فى حقولها وهكذا النحل
يشاهد لبعضه اسفاط (مقاطف) على مؤخر ارجله ليضع فيها
مادة الشمع ويخبز منها لاولاده وغير ذلك واني لاشعر بلذة عند
تذكر هذه المعلومات وياليت شعرى مافائدة هذه اللذة وهل
دراستها ترقى المدنية أم هى من المسليات للانسان كآلات
الملاهى فقلت سيدى ان الشيء كلما كان نفعه اعظم كانت
اللذة به اعظم فبمقدار اللذة يكون نفعه وهذه السماء ذات نجوم باقدار
متباينة وأحجام وأضواء وحساب مختلفات يتكون منها علم
الفلك وفى هذا العالم الطبيعي صناعات متقنة مما ذكرته ومالم
تذكره كل هذه من علويات وسفليات تذكرة للناس وميزان
لهم فاية امة اخذت حظها من العلوم واقتدت بملك الملوك فى معرفة

مخلوقاته كانوا هم خلفاءه في الارض وسيطروا على الامم وكل قوم
ضلوا فهم هذه (فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن) قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) فما العالم الا مدرسة
كبرى وما الناس الا متعلمون والله بيده الميزان يرفع ويخفض
فمن رآهم تأملوا صنعته وقلدوها فى الاحكام والاتقان وسابقوا
كل حيوان فى عمله والفلك فى حسابه فازوا بالسبق فى الدنيا
ومن نكصوا على اعقابهم عوقبوا بالحرمان والخذلان (يؤتى
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما
يذكر الا اولو الالباب) ولعمرى كيف تكون الامة خليفة في
الارض اذا لم يقم كل جماعة منها بصناعة اوعلم وكيف يمكن التوغل
فى ذلك الا بالمدارس الكلية الكبرى وهل يمكن فى بلادنا الا
ببذل المال من ذوى الثروة الواسعة وقد اصبحت بلادنا مزدحم
الامم جمعا فى التجارة والصناعة والزراعة وتلك لعمرك يتضاءل
في جانبها المزاحمة الاداريه فأذا لم يقم الوطنيون بمدارس كلية فلا
بد من تغلب العناصر الاجنبيه على الثروة وينقرض العنصر
الوطنى على تمادى الزمان كالامريكان الاصليين واليه اشار بقوله

تعالى (افلم يروا الى مابين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب) وقد خرب كثير من بلاد الاسلام وغيرها قديما وحديثا كاسبانيا وامريكا الاصليين (ولقد اهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فقال صاحبي

ها أنا عرفت الحيوان وانه منتظم كسلسلة جميلة متسقه من انسان فقردة فسباع فوحوش فانعام فبهائم فجوارح فطيور فحيوان الماء فحشرات فهوام وان الله تعالى وضعها وضعاً محكماً مرتبة منتظمة وانه لا يلزم من هذا الاحكام ان يكون مشتقا بعضها من بعض وعرفت اجمل حكمها والطف عجائبها

وان قتال بعضها لبعض وفتك القوى بالضعيف مبنى على حكم ومصالح ولقد اطمأن قلبي وثلج صدري ولكن هنا امرا يحتاج الى اكمال العناية وهو الحروب المجتاحة لنوع الانسان المهلكة الفاتكة الميتة الاطفال وهل يمكن السلام العام ـ اليس السلام خيراً من الحرب وهل ترى فى بقائها مصلحة فقلت

(الحرب وهل يمكن السلام العام فى العالم)

لهج الناس فى انديتهم ومحافلهم وسمرهم بالكلام على ابطال الحروب وعم ذلك عامة الطبقات حين سرى الى كثير من ساسة أوربا فطير لنا البرق وذكرت الجرائد اخباراً من اقاصى المعمورة عن ارادة السلام العام وتشكيل المجالس واعداد المعدات لذلك واذا ذكرت ماسنلقيه لك من القول علمت ان الحرب امر محتم وان القائلين بالسلام ليسوا من الحكماء وانما هم ممن يغترون بالزخارف فى العلم كما يزخرفون فى السياسة ويقولون مالا يعلمون

او لا يعلمون ان الانسان حيوان ناطق فهو حيوان قبل ان يكون ناطقا وانسانا والحيوان خلق ولا مندوحة له عن الغضب ولم يخلق في الوجود شئ معطل ايخلق الله الغضب ولا سلاح له. لاجرم ان السلاح على قدر الغضب والمؤونة على قدر المؤونة وليس يريد الله ان يحدث الغضب والاستعداد للانتقام ثم يجرد من آلات الدفاع وعليه ترى هناك موازنه وموازاة بين النفوس واعمالها فسلاح الحية والعقرب والزنبور والنحلة تساوى غضبها وعدو الغزال والارنب بقدر ما فى نفوسهما من حب الذات

لا الغلبة على سواهما

وهكذا ترى النمر والاسد ونحوهما الهمت الجبروت واوتيت سلاحه فلهما الانياب والمخالب والاظفار والانسان حيوان منها ازدان بالعقل والعلم وخلق من صلصال طبعه الحرارة الداعية للانتقام والاختصاص والافتراس كالحيوان دعته فطنته وهدته بصيرته الى ان يستنصر بما ذرأ الله في الارض من العناصر والمعادن وانواع الموالد للدفاع فيتخذ منها البيض واليلب فيبتك من يسومه سؤا أو يصليه نارا حامية ... علم مبدع هذا العالم ان الانسان جهول طبعا ضعيف (وخلق الانسان ضعيفاً) قليل الدراية بالعاقبة اودع فيه غرائز ان عدمها عدم

فمنها الجوع والعطش والتألم بحوادث الجو وصولة الاعداء فاعطى قوة وعقلا بهما يجلب الميرة والطعام والشراب من الارض ويدافع الحر والبرد ولولا الجوع ما اكل انسان فقنى الناس قاطبة لجهلهم بعاقبة امرهم ولو وكل للناس امر الاقتران وعرفوا مزاياه ولم تكن لهم به داعية ما اقترن فتي بفتاة ولفنى الانسان وما اقتناه اذا تركت الامة فى غياهب جهلها ولم توقظها امة تجاورها اهلكت الحرث والنسل ظلما وعدوانا ولأكل قويها ضعيفها وعالمها جاهلها

واختل نظامها وكثر فيها الكاسلون فاذا ارشدهم محاربوهم بالسيف والقنا تذكروا وفطنوا ورجعوا الى العدل والعمل وهناك اما هلك او ملك فأما اندماج في امة كبيرة أخرى او اصلاح مابقى (ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)

لاريب ان الامة كالجسم ترى الجسم تعتريه الامراض داخلا وخارجا وحوادث الجو وغيرها فاذا لم يحس الانسان بألم مات وهو لايشعر فما مثل الالم فى الجسم الا كمثل الحرب وما مثل العقاقير الطبية والادوية الا كمثل علماء الامة وحكمائها وسواسها الذين يستيقظون لارشادها وبعثها من مرقدها وهناك اما شفاء بتلك الادوية المركبة وقبول المزاج والنقاهة فالصحة واما الاحتضار فالموت فهكذا فلتكن الامم قديمها وحديثها فالحروب من نعم الله عز وجل على عباده فانما هى فى الامم والامراض فى الافراد منذرات للهلاك (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين) فالاختلال والاختلال والحروب منذرات مقدمات للزوال من الوجود والانبياء والحكماء والعلماء هم الاطباء المداوون للداء وبعدها لاعذر وتقوم حجة

الله على عباده (وماربك بظلام للعبيد) فان كنت فى شك من ذلك فاسأل عادا وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين فان صعب عليك ذلك فاقرأ تاريخ الرومان واليونان والفرس والعرب فان شق عليك فاقرأ ماحل بالروسيا حين اعتل مزاج داخليتها وهي لاتشعر فأرسل الله لها موقظين وهم دولة اليابان ولعمرى ان النضال نعمة للطرفين وخير للفريقين

ولعمرك لان تصلح الروس خللها وتلم شعثها داخل بلادها وتأمن اليابان شر عدوتها فى الزمان المقبل خير لهماوابقى من ازدياد المرض فى الاولى والاضطراب والخوف فى الاخرى (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) قطع العضو لاصلاح الجسم خير من اهلاكه فهكذا محق جيش أو جيوش خير وابقى من ملايين من النفوس يعيشون عيشة مهملة بلا حياة طيبة (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الارض بعد موتها)

الامم كالافراد يشبون ويشيبون ويموتون ويلدون ومنهم من يكون عقيما (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو

العليم القدير) ٠والامة ان ايقظها الموقظون بالسيف والمدفع فاما ان تلد امة جديدة او تفنى تقاليدها وتندمج فى سواها (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

للانسان غرائز ثلاث بعضها فوق بعض كانها دوائر احاط كبراها بصغراها والانسان مركزها الادنى تلك الغرائز اتحدت وجهتها ونتيجتها فكانت مبدأ للترقى المادى والادبى والحياة

١ غريزة الم الجوع وشهوة الغذاء واللباس دعت الي الزراعة وذلك العلم يحتاج الى علوم كثيرة طبيعية لا يستغنى عنها عليه مدارها وبه بقاؤها وترقيها والمبدأ الحقيق والمركز الاصلى غريزة الم الجوع وشهوة الغذاء واللباس

٢ آلام المرض انتجت علم الطب وهو اوسع دائرة من الزراعة اذ احتياجه الى العلوم أشد وارتباطه بها أقوى فكل يقدر أن يحرث ويزرع ويحصد ويعيش وان لم يزاول تلك العلوم . والطبيب لن يقدر على المداواة مالم يلم بأطراف كثير من العلوم ومنها التشريح وعلم وظائف الاعضاء والعقاقير الطبية وهذه لا احتياج لها فى الزراعة وان اشترك العلمان فى الاحتياج الى

الكيمياء والطبيعة

٣ الام سلطة الغير وقهر الرجال والحروب لعمرك انها هى الدائرة المحيطة بالدائرتين المسيطرة على ماقبلها فلن يسهل للامة الدفاع ولن تقوى على الكفاح الا اذا أحرزت النهاية في الهندسة والحساب والجبر وعلوم المبانى والاستحكامات وصهر المعادن على اختلافها وبجانب ذلك تصح الاجسام بالطب وتقوى بالغذاء وتعم حركة الاصلاح في جليل الاعمال ودقيقها وكبيرها وصغيرها فالحرب اذن نشاط في الاعمال وحركة فى الافكار ورقى في الماديات هب ان غريزة الم الجوع ازيلت من الانسان وصحت الاجسام وانتهت الحرب بسلام واضحى الناس اصحاء لايحتاجون لاكل ولا طب ولا حرب فليسوا هم الناس وانما هم الملائكة الكرام ونحن انما كان موضوع كلامنا في اناس لاملائكه ومتي علمنا أننا اناسي فلا بد لنا من الرقى مادة وادبا والرقى يحتاج لغرائز فى نفوسنا توقظنا من غفلتنا ومتي فقدت الغرائز الثلاث فلا انسان ولا رقى ولا حياة لابد للخير من شر وللشرور من احزان وللعسل من ابر النحل فلهذا الخير العميم تجندل الابطال فى الوغى وترمل النساء وتيتم الاطفال ويعم الويل وتخرب اسرات وتذهب قوات

وتموت ويحصد المدفع وقنابله والقنا والقواضب مازرعته الآباء والامهات ـ اذا قست خير الحروب بشرها وعمرانها بويلها رجحت كفة الحسنات وعلمت من هذا كله قوله تعالي (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) في الماديات والادبيات واختلفت امور الحياة وبهذا يذهب كلام سواس اوروبا ادراج الرياح فانما ينفخون في غير ضرم ويستسمنون ذا ورم فالكلام فى السلام صرخة في واد او نفخة فى رماد علم الله ذلك قبل خلقهم فبادر بعد هذه الآية السابقة ان قال مظهرا فضل اعجاز القرآن فوق آراء ساسة الزمان فقال (ولكن الله ذو فضل على العالمين) فجعل الحرب فضلا على الناس (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين فذكر الرسالة عقب هذه الآية اظهارا لعظم اهميتها وانها حكمة لاتقطعها معاول الزمان ولا يهدمها الحدثان وفى آية (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) لعلك تقول ترى بعض الحيوان يحرم حرب اخوانه بل تجتمع على الفتك بسواها فلا يأكل السبع السبع ولا النمر النمر ولا الذئب الذئب فهل انحط الانسان عنها درجات فاكل بعضه بعضا ولعن بعضه بعضاً

نقول بعض انواع الحيوان يحارب بعضه بعضا الا ترى النمل فان له جيوشاً منتظمة بها يحارب اخوانه ويستخدمهن

على ان الانسان لما كان ارقى حيوان على سطح الكرة الارضية والقوى الغضبية كامنة فيه والطمع غريزته وقارع الحيوان وصارعه فصرعه ولم يجده راويا لغلته شافيا لعلته حصر همه فى نفسه فأكل بعض بعضا وضارب وقاتل

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ماتأكله

او كالدود فى جسم الانسان اذا قبر فانه يمثل حياته وتاريخه الا ترى انه يأكل لحمانه ويشرب دماءه فاذا انقضت تلك المادة وفقد الغذاء اكل القوى منه الضعيف وتسلط بعضه على بعض حتي يبقى منه دودتان فتأكل اقواهما اضعفهما

وتغنى بعد ذلك فهى كالانسان حارب الحيوان فلما خضع له لم يسعه لنهميه الاقتال اخيه فالدود في الحقيقة اخذ الافتراس عن الانسان وطبع على طبعه لانه منه وماالدنيا الاجهنم الصغرى ومنتهاها الانسان وهو اذا وصل الى دارا وسع من هذه وهى الجنات ميز بين النعيمين وعرف الفرق بين الدارين وفرح بما هنالك لاماهنا ويرغب فى ربه وجواره في علبين ان كان من الصالحين

والا فله شأن آخر فى دار سواها (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها)

(ما الحكمة فى سم الحيات)

فقال لى صاحبي : وما الحكمة فى سم الحيات

فقلت : قال فى رسالة الحيوان : ان الحيات لامعدة لها حارة ولا كرشا ولا قانصه ولا أضراساً تمضغ اللحم بها بل جعل الله فى فكها عوضا عنها سما حارا منضجا لما تأكل من اللحمان.

وذلك أنها اذا قبضت على جثث الحيوانات وجعلتها بين فكيها افاضت من ذلك السم عليها لتهز لها من ساعتها وتبتلعها وتزد ردها وتستمرئها فلو لم تخلق بها هذا السم لما استوى لها اكل ولاحصل لها غذاء ولماتت جوعا وهلكت عن آخرها وما بقى منها ديار

هذا كلام صاحب الرسالة ونحن نقول قد ذكرنا حكمتها (فى جواهر العلوم) بما هو اعجب من هذا فيه تدافع عن نفسها فيخاف منها وتهاب لئلا تعبث بها الايدى وان سكناها في الاماكن العفنة لتصور للانسان الهلاك الناشئ من عفونات الجو والاختناق فيه بشئ محسوس وهو السم .فاذا مات انسان بلدغتها فهو خير

من ان يموت الوف بالهواء الفاسد

(مقارنة بين الجوع وحكمته والسم فى الحيوان)

وهذا يشبه تمام المشابهة تصوير الامراض وهلاك الاجسام بصورة الآم فى الجسم تسمى بالجوع فلولاها ما اكل الانسان قط بل ترك جسمه حتي مات اذ لا يدرى ما العاقبة واذا علم وكان فيلسوفا حكيما فاقل عم يجعله تاركا للاكل ولا يبالي بالحياة فجعل الم الجوع وشهوة الزواج لبقاء الشخص والنوع والا لفنى هذا العالم كله في يوم أو بعض يوم

فهذا كالسم في الحيات سواء بسواء فانه محسوس يحس به الانسان فتتقى الحيات المواضع المكتنفة بالهواء العفن فى الغالب ولذلك نراها فى الاماكن الخربة لتستنشق الاهوية الفاسدة ولا نراها في البساتين والاهوية النقية ولذلك قال المفسرون فى قوله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور) أن البلدة الطيبة هى صنعاء قاعدة اليمن وانما كانت طيبة لان هواءها لطيف نقى وارضها ليس فيها قمل ولا برغوث ولا حية ولا ثعبان ولا مايؤذى من تلك الحيوانات الكثيرة فى البلاد (ان في ذلك لذكرى لقوم يعقلون) فلم تخلق هذه الحيوانات ولم يكن سمها الا لحكمة بالغة

وبالجملة فجميع ماعلى سطح الكرة الارضية من الحيوانات امم وجميع اعمالها حكم ونحن اليها محتاجون جدا وعلاقتنا معها كعلائقنا مع الامم المجاورة لنا . فالحيوانات معنا كالامم المجتمعة بالامة الواحدة وكل منها له جمعية مخصوصة واحوال لا تفارقه قال تعالى (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون)

﴿ آيات من القرآن على ماتقدم ﴾

ومن هذا نفهم قوله تعالى (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) وقوله (ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون) وقوله (مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم) وقوله (ن ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم)

﴿ حكمة المرض في الانسان ﴾

فقال ذكرت الجوع وانه حكمة وقارنت بينه وبين سم الحيات فلا تؤاخذنى لاغش نفسي انا لا اوافق ان آلام الجوع كسم الحيات وكل يكره الجوع ويذمه واذا كنت تجعل الجوع حكمة فلعلك تمدح المرض وهذا لا يرضاه أحد ولا يوافقك عليه

انسان فقلت اذا تأملت احوال الحيوان والانسان رايت انها جميعا تساق بعصاوين احداهما لجلب النافع والاخرى لدفع الضار. فترى الطفل يحس بالجوع وهو ألم ويشتهى الاكل وهو لذة ولولاهما معالم تنتظمه الحياة فيبكى للجوع ويضحك للشبع فالالم واللذة سوطان خفيان من سياط الله والحكمة يؤدب بهما من لم ياكل لبقاء شخصه الاول رغبة والثانى رهبة فقال لى عجبا عجبا حقيقة هذه المسألة سارية في الانسان والحيوان فقلت له الحمد لله وافقتنى .

﴿ الالم واللذة للجسم والروح وكيف ﴾

(تشابه وضعهما)

ولما كان بقاء الشخص لا يكفى جىء له بسوطين آخرين ولا يريان وهما ألم شهوة الاقتران ولذة الفرح فهما سوطان كذينك ولو عدم هذان السوطان لما تولد الناس ولفنوا فى نصف قرن

فانظر كيف قهر الحيوان والانسان على بقاء الشخص والنوع ولذلك يشير قوله عليه الصلاة والسلام (من تزوج فقد حفظ نصف دينه) وهذا بقاء النوع (فليتق الله في النصف الآخر) وهو بقاء الشخص ويكون بالاغذية المشوق لها بذينك السوطين

الى اجل مسمى وهو الموت - وبالاخلاق الحسنة والعلوم والشرائع وذلك هو البقاء السرمدى وله سوطان آخران وهما النار نظير الجوع والجنة نظير الشبع هنا فانظر كيف اتحد فعل الله في جميع الاحوال وجعل فى كل نوع رغبة ورهبة فهذه سياسة عجيبة جداً وهذا المقام مقام عال ولا يتصور ماتكلمنا فيه الآن الا اكابر العلماء المتفكرين بل الحكماء لان هذا امر دقيق جداً وقس على هذا المرض فان فيه رغبة لذة الشفاء ورهبة الالم ولولاهما لفنى الجسم وترك الانسان نفسه

والحق يقال ان الله علم ضعف الانسان فلم يتركه بلا آلام ولذات والا لفنى ومات ولم يعش وسوط الله الذى يضرب به يناسب جلاله وهو مجرد عن المادة فسوطه يكون خفيا وان كان فى المادة فلكل سوط يناسبه وحينئذ ظهر لك يا أخي مقارنة هذا بسم الحيات. اما قولك فلا يوافقك احد فانى امنعه وانى متيقن ان كثيراً لا يفهمون مثل هذا فلا يوافقون لقصورهم عن فهمه

﴿ السموات السبع والعلوم الحديثه ﴾

فقال هل السماء موجودة قد سمعت كثيرا من الناس يقولون أن الكواكب سابحة فى فضاء مطلق لا أجرام فيه فاين

السما. : فقلت :

هذه الفكرة جاءت من عامة التلامذة لجهلهم بالعلوم الحديثة فهى لاشرقية ولاغربية فان العلماء قديما وحديثا مجمعون على أن لافراغ فى الكون ولقد كان الاقدمون من اليونان يظنون أن للعالم نهاية وبرهنوا على ذلك بالبراهين التي ظنوا أنها قطعية وجعلوا الافلاك تنتهى الى تسعة ومنها فلك الكواكب وفوقه الفلك الاطلس .

وهذا القول اضحى في زوايا النسيان لانه يحصر قدرة الله وعلمه فى دائرة محصورة والحق ان العالم لايتناهى ولا فراغ فيه البتة فكل مافوقنا نسميه سماء

وقدجعلها الله سبعاً أى انه يعلم الاجرام التي فوقنا انها سبع طبقات فاخبرنا بانها سبع فاذن هذه الاجرام والكواكب ليست فى فضاء مطلق لامخلوق فيه . كلا . وانما هى تسبح فى عوالم لانه لا فراغ يعقل . ولقد قرأت فى الفتوحات المكيه لابن العربى ما نصه «انه قد اتضح لي بالكشف ان الكواكب تدور في هذا الفضاء وان ما عليه الفلكيون فى زماننا غلط» واطال فى هذا المقام مع حسن العبارة والاسلوب الجميل وان اردت تحقيق هذا

المقام فعليك بكتابنا جواهر العلوم

وتعجب من ان ابن العربى عرف هذا السر بطريق الكشف والفتوح من الله تعالى قبل ان يظهر كوبرنيكوس الاوروبى وغيره من الاروباويين الذين يدعون الاستكشاف هذه المسألة مع اننا بينا بطلان دعواهم في الكتاب المشار اليه

﴿ اجماع المحدثين والقدماء على أن العالم ﴾

(ليس فيه فراغ)

فقال ما البرهان على ان العالم لا فراغ فيه . فقلت : لاجرم أننا لا نتصور الا نورا أو ظلمة ولايخلو مكان منهما فاذا تصورنا بقعة في العالم لا نتصورها الا كذلك والنور والظلمة اما عرضان أو جوهران أو احدهما عرض والآخر جوهر ولا يمكن غير هذه الثلاثة عقلا . فقال : وما الجواهر وما الاعراض .

فقلت : الجواهر كهذه الاجسام والاعراض كالبياض والسواد فقال نعم لا يمكن غير هذه الصور . فقلت :

ان كانا جوهرين فالامر ظاهر وان كانا عرضين فالاعراض انما تقوم بالاجسام وان اختلفا فالامر واضح من الصورتين الاوليين

فقال لي : عرفت حقيقة انه لا يتصور خلاء قط وانه لا يتصور الاملاء وان العالم لا نهاية له كما هو رأى المحدثين وهذا برهان عقلي . وانى أرجو ان تذكر لي مذهب المحدثين و برهانهم مع الايجاز فقلت: قالوا ان النور يأتى لنا من الكواكب ومعلوم ان النور عرض اذ هو حركات والحركات لا بد لها من اجسام متحركة

فمن هذه نعلم ان هناك اجساما وسموها الاثير وبها تقوم هذه الانوار . فقال لي : فهمت هذا

ولكن الذى اعلمه من لفظ السموات وما يتبادر الى الذهن انها اجسام صلبة فقلت : لا دليل على هذا البتة بل هذه تنافى مسألة الاسراء . وافكار العامة لا دخل لها فى مواضيع العلوم التحقيقية . فقال :

وهل يحتمل غير ذلك . فقلت : نعم يجوز ان يكون هناك افلاك فوق جميع ما يشاهد من الكواكب وتكون هذه الكواكب سابحة في جوفها اذ لا دليل على عدم ذلك . فقال : وهل الدين له بحث فى مثل هذا فقلت : كلا وانما بحثه فى وجود السماء وعددها . اما الكيفية فلم يتعرض لها فما جاء القرآن الا بما

برهنا لك عليه الآن وارتضته العقول بل ظاهر القرآن يميل لما صرح به علماء العصر الحاضر قال تعالى (كل فى فلك يسبحون) فجعل الكواكب تسبح كما يسبح السمك في البحر واليه مال الرازى : فتأمل كيف انتهى بحث العقلاء في آخر الامر الى ما قرره القرآن من قبل

فقال ارجو ان تذكر لي ما تعلمه فى النور وحقيقته

﴿ حقيقة النور ﴾

فقلت : قالوا ان كان جوهرا فكيف لا يبقى بعد غروب الشمس وانطفاء السراج وهل يموت الولد بموت الوالد ؟ وان كان عرضا فكيف ينتقل من الشمس الينا والاعراض قط لا تنتقل فاذن هو ليس جوهرا ولا عرضاً وهذا غير معقول بالمره

ولما برهنوا هذين البرهانين رأوا انه لابد فيهما من خطاء اذ أحدهما كاذب ولا كلام . فقال الغزالى أن النور يخلقه الله تعالى عند ملاقاة الجسم المضئ للكثيف فيشرق عليه وهذا بعينه ماقاله علماء العصر الحاضر وذلك انهم اكتشفوا أنه حركات في جسم الاثير تحدث فيه بمرور الكواكب فكأنهم عرفوا ماقاله الامام الغزالي رحمه الله فقال :

﴿ هل العالم حادث وذكر مذاهب الفلاسفة ﴾

العالم حادث ام هو قديم وهل للدين بحث فى هذا؟ فقلت :

اذا كان المراد بالقديم مامضى له زمان طويل فالعالم بهذا المعنى قديم فقد تضاربت أقوال العلماء المكتشفين عن زمانه وقدروه بالملايين حتي اوصله بعضهم الى ٢٥٠ مليونا من السنين على سبيل الحدس والتخمين فالقدم بهذا المعنى لاريب فيه عند جميع الامم . أما تقديره بسبعة آلاف سنه فهو من أقوال علماء اليهود والنصارى وجهلة المؤرخين فلايعول عليه في جميع الاكتشافات

وان كان المراد بالقديم انه على هذه الهيئة من سموات والارض بلا ابتداء فهذا واضح البطلان اذ الكون فى حركة مستمرة بل لا حياة الا مع حركة وما من لحظة تمر الا وللعالم فيها تغيير فتسير الكواكب وتتفاعل العناصر واليه الرمز (كل يوم هو فى شان)وقد اجمع علماء العصر الحاضر على ان الكواكب حادثة بعد العدم وسيأتى يوم تذهب فيه ويحدث غيرها كما قال تعالى (ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) وذلك(يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا

لله الواحد القهار)

واعلم ان هذه الاجسام من حيث هى اجسام لاتلزم صورة بعينها فكل صورة تكون عليها يجوز ذهابها ويحدث غيرها فهذه الصور التي نراها من سموات وارض لا يجوز ان تكون باقية الى ابد الآبدين

أو ان تكون مستمرة من الازل فكيف وما المرجح لها عن غيرها حتي تبقى ملازمة للاجسام وقد ايد هذا القول الاستكشافات الحديثة فى العلويات والسفليات وان كل الكواكب سوف تفنى وتعود كما بدت ويخلق غيرها وهذه قضية غلط فيها فلاسفة اليونان وحققها المحدثون واثبتوا مانزل به القرآن من ان السموات والارض كانتارتقا ففتقناهما وان العوالم ليست باقية على حال واحدة فى العناصر والصفات ولعمرى كيف تكون العناصر في الكرة الارضية مستمرة التحليل والتركيب دائمة التفاعل وتبقى العلويات ثابتة حينئذ وما الفرق بين جسم وجسم هذا مالايكون

واعلم ان النوع الانسانى من ابتداء نشأته على سطح الكرة الارضية الى الآن لم يزال مستمرا على الخلاف فى مسائل العالم وخالقه

ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وذلك انهم قسمان الاول من يدين لا له قاهر موصوف بجميع صفات الكمال منزه عن النظير والمثل وهو الا له الحق وهؤلاء هم الذين ازدهت بهم المدنية فى كافة اقطار المسكونة

وآخرون وهم شرذمة قليلة مالوا الى الترف والنعيم وسئموا تكاليف الدين ومشاقه وابتدعوا مذهب الطبيعة

وهؤلاء اغراضهم دائرة على محورين شخصى وسياسى

المحور الاول تعاطي الشهوات بلا مانع من عقل رادع وشرع

المحور الثانى انهم اذا كانوا في امة ذات حكم على طوائف أخرى من العالم ارسلتهم امتهم ليعلموا المحكومين ويوهموهم وانما هي اوهام من الاضاليل فترى كل أمة لها جيشان قويان احدهما يدعو الى الدين ولغة قومه في بنى جنسهم وغيرهم وهؤلاء هم المرسلون الدينيون . والثانى حزب يامر بترك الدين ونبذه ظهريا ليزلزلوا عقائد الامم المحكومة لهم فتذهب عصبيتهم ويبقوا ارقاء في ايديهم

وهناك مقصد ثالث لا يدركه الا الراسخون فى العلم المدركون لحقائق الاشياء وهو تحريض الحكام على الفتك بالامم الضعيفة

وذلك ان بعضهم شرح ترقى انواع الحيوان والنبات والانسان واثبت ان الانتخاب في الطبيعة حاصل وان الاقوى يميت الاضعف وان نبات وحيوان وانسان امريكا واستراليا زال بمجاورة نظائرها من اوروبا وان هذا الوجود لا يبقى فيه الا الصور المستحدثة والغالبة لغيرها : هذه هى نتيجة بحثه . وهذه الفكرة بلا ريب تدعو الاتوياء للتغلب . وبالجملة فالمذاهب الدينية والطبيعية عليها مدار السياسة عند هؤلاء الامم بها يحاربون وعليها يعولون فى اجتماعهم وقهرهم لغيرهم سواء ما كانوا يفعلون .

وترى الطبيعيين قديماً فى القرن الثالث والرابع قبل الميلاد فى دولة اليونان قامت قيامتهم والفوا الكتب والرسائل وكلما ارادوا تأسيس مذهب اصبحوا فى حيرة كلما سنحت لهم سانحة ورئيسهم ديمقراطيس يقول ان العالم مركب من ذرات صغيرة صلبة متحركة ازلا وابدا فالعالم مادة وحركة .

وبقى العالم في حركة مستمرة وحدثت هذه المحدثات بالصدفة العمياء ولما علم أخرون فساد هذا القول وان الانواع الحادثة منتظمة غاية الانتظام والمصادفة العمياء لا تقوى على اقل جزء منها قالوا بقدم الانواع وان كل بذرة فيها نبات وكل نبات فيه بذرة

وضلوا عن كون المحصور لايسع مالا يتناهى فجاء قوم وقالوا ان كل بذرة كقالب للنبات وكل نبات كقالب للبذرة وفاتهم ان الكامل يخلق منه الناقص وبالعكس وجاء بعدهم قوم آخرون وهم اتباع (ديوجينوس الكلبي) وقالوا ان العالم مشتق بعضه من بعض وان الانسان اصله خنزير مستور بالشعر فترقى الي ماهو عليه الآن ثم مضى زمن وجاء آخرون واكتشفوا طبقات الارض وعلموا فساد القول بقدم الانواع

قالوا : ان العالم حادث والارض مشتقة من الشمس ومنهم لابلاس وجاء آخرون ونظروا فى الاجسام الحية والتمسوا تعليلا لها . فقال قوم: ان الحياة جاءت مع الارض من الشمس وجهلوا ان هذا ينقض مذهبهم من ان الارض اذ ذاك كانت ملتهبة

ولما علم آخرون فساد هذا القول عمدوا الى ان الارض حين اخذت فى التبريد وكانت مستعدة لتخليق المخلوقات الحية ثم زال ذلك الاستعداد .

وقال آخرون انها لاتزال يحدث عليها انواع جديدة في كل وقت حتي الآن لاسيما فى خط الاستواء

وجاء بعدهم قوم آخرون وقالوا ان العالم فى حركة مستمرة

بحالة واحدة ونشأ منها اول نبات ترقى فانقسم فحدثت منه النباتات وهكذا الحيوانات ارتقت عن اصلها وكونت فصائل وافخاذا وانواعا وهكذا حتي ان القرد ترقى عن غيره وأخذ يترقى الي (الاورنغ) وهو قرد يقرب من الانسان ثم صار انسانا افريقيا فانسانا متمدينا ورأى هذا المذهب دروين وهذا اشبه فى قوله اتباع ديوجينوس الكلبي فاختار القرد واختاروا الخنازير .

ومنهم قوم رأوا ان هذه غير كافية لتعليل هذه الحوادث فقالوا انه لابد من ثلاثة : الحركة والمادة والارادة . وان لايعقل عمل لحكم بدون ارادة

وفاتهم ان الارادة لاتكون في مثل الذرات الصغيرة وكيف يريد الجماد ام كيف تعلم كل ذرة مستقرها ومستودعها وترسل (تلغرافات) الي كل ذرة سواها ونقول ها نحن سندخل فى جسم طير يأكل الحب فلتنظر الى مصالح الطيور الكواسر والانسان القاسر فتضعف هذا الحيوان ولانجعل له قوة ليتمكن الانسان والطير من اقتناصه ثم ننظر الى مصالحه الخاصة فنجعل جناحه مناسباً لجسمه ومنقاره قادرا على التقاط الحب وريشه موزوناً وحوصلته وقونصته متناسبتان وهكذا عنقه ورأسه

وحدقته وحواسه .

فاذا ذهبت الى الجوارح من الطيور ارسلت (تلغرافات) اخرى وهندست وامرت ضد هذه الاوامر بما يطول شرحه . فهذه مذاهبهم ولن يزالوا فى نفى واثبات حتي ينقرض العالم هكذا (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك)

واعلم ان هؤلاء ما دخلوا مدينة الا افسدوها فترى كل واحد منهم لا يهمه الا مراعاة نفسه ولذاته الحقيقية وبهم يذهب حق التعاون بين الناس وتموت الشفقة والرحمة ويصبح المتمسك بهذا المذهب يائساً بائساً كئيباً ولم تقم بمثل هؤلاء أمة ولا مدنية حقة بل هم وحدهم عليهم يدور دولاب خرابها وهلاكها كقوم عاد وثمود والذين من قبلهم ومن بعدهم

ولما رأى اهل أوروبا انهم مفسدون ضالون اتخذوهم حبالة يصطادون بها الامم العمياء ويبثون بهم شرور الجهالة بين المستضعفين من الشعوب فيشبون ويشيبون على الكفر فتذهب العصبية والقومية وتموت روح الحياة وتزهق من جسم الامة وهكذا دابهم الى ان يأتى الله بالفتح او امر من عنده

ربنا افتح بيننا وبينهم بالحق وانت خير الفاتحين

﴿ بيان الحق من هذه المذاهب ﴾

فقال . الى الآن لم يتبين من هذه الاقاويل حدوث العالم وقدمه فان هذه المذاهب متضاربة متناقضة ولم اهتد فيها الى صواب : فقلت : آخر مذهب للماديين فى هذا العصر ان المادة تنحل الى اجزاء لا تحس ولا تذاق ولا تلمس ولا تعرف الا بالعقل . وتغالى بعضهم فقال : ترجع المادة الى شئ غير مادة وهي حركات بسيطة فى الفضاء الذى لانهاية له وهذا القول الاوروبى يشبه تمام المشابهة قول النظام من علماء الاسلام من أن الاجسام مركبة من اعراض

﴿ معقول وغير معقول ﴾

فقال وهل هذا معقول؟ ج . فقلت معقول وغير معقول: فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت . علمت العقول اضطرار المادة الى مجرد عنها فوصلوا فى آخر الامر الى الحركات ولا تعقل الحركات الا فى الاجسام وهذا بلا شك الدور بعينه فيقال الحركة تكون فى الاجسام والاجسام خلقت من الحركات فيلزم تقدم الحركة على نفسها وتقدم الشئ على نفسه باطل

فهذا وجه كونه غير معقول واما كونه معقولا فان جميع

المادة ضعيفة لاقوة بها الا بغيرها فلا بد من اسنادها الي عالم الطف منها هو المعبر عنه بلسان الشرع بالملائكة والروح وعند الحكماء بالعقول والنفوس

وهذه عوالم مجردة عن المادة وهى السبب فى تكوينها بأمر مبدع الكون فانظر كيف اضطر الطبيعى ان يصل فى آخر أمره الى نقطة وصل اليها الحكيم وقررها الشرعى وهى عالم الروح فعبر عنها بالحركات اذ ليس فى ذهنه سواها وما هى الا العقول والنفوس وهى الملائكة. فقال اوضح هذا المقال فقلت.

﴿ الملائكة ﴾

ها انت ترى جميع ماتراه من حيوان ونبات وانسان لا يتحرك الا بنفوس فيه كامنة او عقول عاملة وجميع الاعمال التي تراها انما تكون بحركات والحركات اما من ذوات النفوس او من غيرها فالحيوان والانسان حركات تتبع النفوس وجميع الجمادات والسموات حركاتها لابد ان تكون لعالم يشبه نفوسنا وعقولنا بعض المشابهة وهو المعبر عنه باللائكة أو العقل او اللوح وعبر عنه صلى الله عليه وسلم تارة بالعقل وتارة بجبريل ومكائيل وهكذا (اقرأ كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة للامام الغزالى) واذا

كان شأن المادة هكذا فهى حادثة بعد التحقيق وصار الباحثون على اختلافهم فى آخر الامر متفقين على الحدوث اضطرارا لا اختياراً

﴿ مامعنى قولهم المادة مؤلفة من حركات ﴾

فقال. الى الآن لم افهم قولهم ان المادة مركبة من حركات. فقلت ان الفضاء ممتلئ من حركات تلك الحركات بتضامها مع بعضها تلتئم وتصير شيئا واحدا وهو المادة فهذا أخر قول رأيته لهم مع سخافته

فقال وكيف تقول ان السموات لابد فيها من مجرد عن المادة وهى الملائكة في لسان الشرع والعقول في لسان الحكماء وليس الله يقدر على ذلك بغير الملائكة وهذا فى الحقيقة مشكل فقلت. ياسيدى من الأكبر السموات والأرض أم أجسامنا فقال بل السموات والارض فقلت هكذا يقول الله (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) واذا كنا نحن خلقت لنا أرواح وعقول تتصرف في هذه الأجسام وهي أصغر من السموات والأرض فما بالك بما هو أكبر ثم اننا نعلم أن ارواحنا اجل من أجسامنا دالة على حكمة هذا المبدع الحكيم وان وجود الجسم بلا روح عقيم فالأرواح هى المقصودة والاجسام انما هى آلات

لها فهكذا تكون الكواكب والسموات ونواميسها تحت عالم مدبر لها يسمى بتلك الاسماء المختلفة ونحن والحيوان أكمل وجودا من العناصر اذ الاجسام بلا مدبرات لها عبارة عن موت حقيق فان قلت أن الله على كل شيء قدير قلنا أيضا وهو حكيم ومن الحكمة ان يخلق الاشياء بالتدريج ويجعل اللطيف مدبر الكثيف كما في أرواحنا وأجسامنا فهذا هو الحكمة والقادر بلا حكمة عاجز كما فى رجل قوى البنية قادر على العمل ضعيف الرأى فمدبر الكون احكمه اجل أحكام .

﴿ القضاء والقدر ﴾

فقال علمت الآن ان العالم حادث والله خالقه وهو الرحيم بعباده ولكن أريد الآن ان اعرف مسألة القضاء والقدر

فقلت . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخوض فيها فقال ما معناه اذا ذكر اصحابى فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا وانما نهى عن ذلك لان القضاء والقدر يتعلقان بترتيب الوجود كله وعلومنا قاصرة على حاجتنا المعيشية والمعادية غير متطرفة الى المعرفة بسير الوجود وكيف يسامى علم العبد الضعيف علم ذلك المحيط بالكون كله .

ولقد تكلم كثير من العلماء فيها وكل أتى بما يناسب معلوماته فها انا اذكر لك ما يناسب الحال وان كان قلا من جل وقليلا من كثير .

يتساءل الناس فيقولون كيف نعذب والله تعالى هو الخالق لنا - فخالق لعبده وما عمل - (والله خلقكم وماتعملون) وما علموا ان الكون اسباب ومسببات متصلات بعضها ببعض وها نحن نرى الطب يترتب عليه الشفاء والسم يلزمه الموت والسقم . والاطعمة الحارة تحدث حرارة والبارده برودة فمابال الناس لا يتساءلون ومالهم لا يستغربون ومالهم لا يقولون لم ترتب الموت على السم والصحة على الطب والولد على الابوين والمناصب على العلوم .

تراهم يشاهدون هذا وهم مذعنون مقرون لا يعترضون ولا يتساءلون مع ان عالم العقول والارواح أسباب ومسببات كعالم الاجسام . فالنظام واحد (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت)

واذا كانوا لا يستغربون نظام الماديات فالهم يستغربون نظام المعنويات او ليس الذى يجعل الشفاء بعد الدواء والموت

عقب السم هو بعينه يجعل الذنوب سبب الشقاء والاعمال الصالحة سبب السعادة فالجهل وسوء الخلق يوجبان ألم الارواح واجسامها بعد الموت والعلم وحسن الخلق يوجبان السعادة هناك والنعيم

فمثل الجهل وسوء الخلق كمثل السم والاطعمة الرديئة. ومثل الشقاء والنار في الآخرة كمثل الموت والمرض في الدنيا (ولكل درجات مما عملوا وماربك بغافل عما يعملون) -(وربك الغنى ذو الرحمة ان يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآتٍ وما انتم بمعجزين) - فالعالم يشبه بعضه بعضاً

واعلم ان استغراب الناس وتساؤلهم عن هذا مع انه مشبه عالم الاجسام من عدم اعتيادهم عليه .

اما عالم الاجسام فهم يشاهدونه ولا يستغربونه لكثرة الاعتياد والتمرين عليه بخلاف ذلك العالم الغائب عنا وان كان مشابهاً لهذا في الواقع ولو شوهد للناس لما تساءلوا. ولهذا جعل عالم الماديات مشابهاً له للدلالة عليه لنقيس ماغاب على ماشوهد وكثر ذكره في القرآن فذكر فيه ان الانسان قد خلق من نطفة فعلقة فمضغة فأنشيء خلقاً آخر فصار طفلا ضعيفا ثم جعل الله له

من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا كل هذا ليدل على ذلك العالم لعلمه تعالى اننا لا نشاهد عالم الاخرة في الدنيا بل نأخذه بطريق القياس والاعتبار ولذلك قال (فاعتبروا يا أولى الابصار)

فقال لي ان ماذكرته لا غبار عليه معقول ومن لنا ينشر هذا بين الشبان المتعلمين فانه يرفع من شأن عقولهم ويهديهم الى سواء الصراط ولكن لا يزال أمر واحد يختلج في افئدة معظمهم بل كثيرا مايخطر بأفئدة اساطين العلم في هذه الديار وان كانوا لا يصرحون فقلت وما هو .

﴿ ايعقل ان صانع الكون من يجهله يرفع ﴾
ومن يعلمه يخفض وكيف جهله بعض العلماء
في اوروبا مع شهرتهم

فقال انت تعلم رعاك الله ان علماء اوروبا اقوام برعوا في كل شيء وما قرأوا علما الا اتقنوه ولا درسوا فنا الا اكتشفوه وزادوا ماشاؤا وشادوا المدنية وليس بعد ماشاهدنا برهان ونحن الآن في بلاد كل مافيها من امتعة وفرش من صنع هؤلاء وناهيك سيدي مانراه من آلات النقل والبريد والسقي والحرث

وهم هم الذين قلبوا الارض قلباً بمدنيتهم فقلت نعم فقال انحن نعرف الله وهم يجهلون ولقد شاع عنهم في هـذه الديار شناعة الانكار فهذا احدى الضلالات العامة في بنى جنسى فماذا تقول.

فقلت :

اصغ ايها الأخ لما اقول ولاقدم لك مقدمة يتلوها الجواب - ان العلوم اقسام كثيرة متشعبة تكثر وتقل حسب انتشار المدنية وانحصارها ويحصرها ثلاثة اقسام طبيعيات ورياضيات وعلم أعلى

فالطبيعيات تحتها علوم كثيرة منها السماع الطبيعي والسماء والعالم والكون والفساد والآثار العلويه والمعادن والنبات والحيوان والحس والمحسوس والطب والبيطره والبيزره وعلم الفراسة وعلم النجوم والكيميا والفلاحه. والرياضيات تشتمل على الهندسة وعقود الأبنية والمناظر والمرايا المحرقه وعلم مراكز الأثقال والمساحة وانباط المياه وجر الاثقال وعلم البنكمامات اى الآلات التي يقدر بها الزمن كالساعات وعلم الآلات الحربية وعلم الهيئة وعلم التشريحات والتقاويم وعلم المواقيت وعلم الارصاد وعلم تسطيح الكره وعلم الآلات الظليه وعلم العدد وعلم حساب التخت والميل وعلم الجبر والمقابله وعلم الحساب والخطأين وعلم الموسيقى

والعلم الاعلى وهو يبحث عن الموجودات كلها من حيث نفيها وثبوتها وعن الأمور العامة والنظر في مبادى العلوم كلها وتبين مقدماتها ومراتبها واثبات وجود الاله واثبات الجواهر المجردة من العقول والنفوس واحوال النفوس البشريه بعد الموت وعلم سياسة الشخص والمنزل والمدينه. وهذا العلم هو نهاية العلوم وجميعها له مقدمات وهو نتيجه لها

هذا ملخص اكثر ماعرفه المسلمون فى القرون الوسطى (انظر ارشاد القاصد لاسنى المقاصد) اما آخر ما وصلنا عن علماء أوروبا في هذه الأيام فانهم رتبوا العلوم هكذا باختصار: العلوم الرياضيه . العلوم الفلكيه . العلوم الطبيعيه . علم الكيميا . علم وظائف الأعضاء . علم النفس والمنطق. علم الاقتصاد السياسى. علم تكوين الشعوب . علم تمييز الجمال . علم ماوراء الطبيعه ويدخله العقائد ومعرفة الخالق والروح. اما علم النفس فانما هو ظواهرها لا حقيقتها. وعلم الحقوق. والعلوم السياسية فهذا آخر ماسمعناه عن الاوروبيين

ومن العجيب انى بعد ان اطلعت على هذا الترتيب وجدته بهذه الهيئة في الكتب الاسلامية المؤلفة فى القرن الثالث من الهجره

ثم ان كل علم من هذه العلوم قد ينقسم الى علوم بانتشار المدنية وتقدمها وها هى المكروبات وهى من قسم الحيوانات اصبح لها علم على حدته ولها رجال معدودون من فحول العلماء وهكذا علم النفس يدخله الكلام على الارادة وقد صارت الآن علما مستقلا بنفسه

اذا علمت هذه المقدمة فتأمل ياسيدى اذا رأيت احدا برع فى فن منها فهل تثق به فيما جهله ومن ذا الذى يصدق علماء التشريح فى فن الموسيقى أو علماء الفلك فى المكروبات أو المهندس فى علم النحو والنحوى في علم النجوم فاذا تكلم احد في غير فنه فأنما يخبط خبط عشواء ولقد اجتمعت بطبيب مصرى فانكر علم الفلك وبرهانه انه لم يشاهد ذلك بعينه كما يشاهد اعضاء الجسم فاخذت ابرهن له على ذلك حتي اثبته فهكذا يا سيدى شأن جميع الناس فى اقاويلهم ومن الامور الغريبة ان علماء كل فن لا يزالون تكلمون على الاله في علمهم ورب عالم من علماء الحيوان والنبات يقول على الله مالا يليق وهو انما تكلم على مقدار علمه اذ فن الآلهيات علم مخصوص والطبيعى لا علاقة له به فاذا سئل عن الاله لم يقل الا بما غلب على طبعه اذ هو لا يعتبر الا ما يمسكه بيده

ويشرحه كالحيوان والنبات والانسان وليس له حظ فيما هو فوق ذلك والاله الحق تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وليس جسما ويستحيل مشاهدته بالعين ومثل هذا العالم يمكنه ان ينكر علم الفلك لان براهينه عقليه. ولو سمع مسئلة بيوت الشطرنج واننا لو وضعنا حبة قمح في الاول و٢ فى الثانى و٤ فى الثالث و٨ في الرابع وهكذا الى تمامها لم يكفنا القمح الذى على سطح الكرة الارضية الف سنة . لانكر ذلك اشد الانكار بل كثير ممن تعلموا علم الحساب ينكرونها مع ان اقل التفاتة للمتوالية الهندسية واللوغارتمات تعرفنا ذلك

واعلم يا سيدى ان الناس فى الحقيقة بالنسبة للعلوم مقلدون فالحكومات مقلدة للاطباء فى اعمال الوباء وغيرها وللمهندسين فى الهندسة وكذلك جميع العلماء مقلدون علماء الالهيات فى كل ملة ولو ترك الناس التقليد للنابغين فى العلوم لانقض بنيان المدنية فلو اصبح افراد الامم يكذبون الاطباء والمهندسين وعلماء الطبيعة لجهلهم بهذه العلوم وعدم ثقتهم فى قائلها فلا يقلدونهم لرأيت النوع الانسانى محى من الوجود وفن الآلهيات لم يخرج عن كونه فنا من الفنون بل ثمرتها وخلاصتها والعالم به لا بد ان يكون مطلعا على

المقصود من خلاصة كل فن فياليت شعرى كيف يقلد الناس المشرح والجغرافي فى علم الالهيات ويتركون العالم به ان هذا لهو العجب العجاب

وكيف اختلط الامر على العقلاء فقلدوا الطبيب فى طبه فاصابوا وفي الالهيات فاخطأوا وكيف يقلد النحوى في الطب والنجار فى النحو والمهندس في علم التشريح هذا ياسيدى خطأ كبير

نحن نعلم علم اليقين ان فن الالهيات فى أوروبا ترقى كما ترقت سائر العلوم فيدرسونه درسا مدققا وهذا فن الارواح المجردة عن المادة كان قديما جزءا من علم الالهيات فاصبح الآن مستقلا واتوا فيه بالعجب العجاب وتبعه نحو عشرين مليونا من العلماء ينقبون فيه فاذا كان هذا الفن على ماوصفناه من التقدم والانتشار كبقية الفنون فما للناس يتركون هؤلاء العلماء في علمهم ويقلدون من ليس لهم بهذا العلم ادنى علاقة. ولعمرى هؤلاء بلغوا من الجهالة غاية ليس وراءها غايه وماهم الا كمن سأل الفلاح فى حقله على تدبير الملك فى عرشه فاجاب الفلاح بما خيلت له نفسه أو كمثل من جاء الاهرام وسأل الخدم عن تاريخ بنيانه وعن بانيه تاف

للجاهلين اتحب ياسيدى ان اخبرك بالسبب الحقيقي لذلك فقال نعم فقلت ان التعلم في بلادنا ناقص يحتاج الى الترقى والمدارس الكلية مفقودة فيها فتجد اذهان المتعلمين قاصرة على بعض قشور العلوم فاذا قرؤا كتب الغربيين فلا يحومون الا حول الكتب المؤلفة فيما يعرفون اما تلك الامور العالية على اذهانهم فيتركونها وشأنها ويكتفى الرجل منهم بقول معلم للغة بسيط ....

(هذه اشياء قديمة) فيظنون هذا برهانا وماذلك المعلم فى الحقيقة الا كرجل نحوى درس الاشمونى فظن نه بلغ السماء وهو لم يرق عن العامة قيد شبر ثم قلت انى ارى انه يلوح فى ذهنك شئ لا تكاد تبديه وذلك ان تقول اذا كان هؤلاء المنكرون فى كل ملة يعاندون الله وينكرونه فلم خلقهم وهل يخلق من يبغضه ويعاديه فتبسم الفتى ضاحكا وقال انها كانت فى نفسى فقلت هذا ياسيدى من قياس الرب العظيم على العبد الصغير الغضوب الجهول ولا كشف هذا لك ياسيدى بضرب مثل

﴿ ضرب مثل للعالم كله بجسم الانسان وبيان ان ترقى العالم متوقف على الشكوك والجدال والحروب وان هذه عماد المدنية وان الله يريد ذلك ﴾

للانسان أعضاء مختلفة فدماغه فيه اشرف الحواس ومركز

العقل ويداه للجلب والدفع والرجلان للمشى والامعاء لاصلاح
الطعام ولو سئلت اليد عن العقل وامكنها النطق لقالت انا لم أره
فى الاشياء التي المسها وهكذا الرجل وهكذا المعدة تقول انى لم
أر الا مواد الطعام فاطبخها فكل عضو في الحقيقة له عمل يعمله
ويجهل سواه وبها جميعا يتم مقصود الانسان وهل رأيت احدا
كره يده لعدم العقل فيها أو المعدة لعدم البطش بها فقال لا فقلت
واذا كان هذا حالنا نحن في مملكتنا الصغرى مع ضعفنا فما بالك
بالمدبر الاعظم فانه خلق العالم وجعل هؤلاء المنكرين من دعائم
الترقى فى العلوم والمعارف فقال لى ذلك الفتي عجبا انت تقول
عليهم مدار الخراب وتقول عليهم مدار الترقى فقلت نعم الا ترى
ياسيدى انهم يثيرون الشكوك والاوهام فى افئدة العلماء فيحصل
الشوق الي ابراز الحقائق فتترقى الناس في المدنية ولولا اثارة
تلك الشكوك ماترقت الحقائق ولا ارتقت المدنية فهم يذكون
نار الجدال والتحقيق وبذلك ترقى الامم وليس يريد الله للكون
الا الترقى دائما فهذا فى المعنويات كالحرب فى المحسوسات فانك
ياسيدى ترى انه لولا الحروب فى الامم ماترقت أحوال الماديات
ولكسل الناس عن الاعمال العظيمة واخذوا فى التلاشى

والاضمحلال فهذه ياسيدى سنة الكون فى الترقى على وجود
الضدين والامر العجيب الغريب ان الناس على اختلاف اجناسهم
يبحثون على الاله في كل زمان دلالة على انه فطرة ثابتة (فطرة
الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن
اكثر الناس لا يعلمون) فنفس هذا البحث بالنفى والاثبات عند
جميع الامم هو البرهان على وجود الله فكان فن الالهيات فطرة
فى النفوس اكثر من الحساب والفلك مع تحقيقهما اذ لا ترى
الناس يلهجون بمثل هذه العلوم ولا يهتمون بها حتي جهلوها اما
الاله فالفطرة متجهة للبحث عنه وبالجملة فالله سبحانه وتعالي جعل
ارتقاء الناس والعلوم لا يكون الا بالبحث ولا يكون البحث الا
بالشكوك التي يثيرها اولئك المنكرون وليس يضر الله شيئاً
(ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئاً ولهم
عذاب اليم) بل هم من شرائط الترقى فى العلوم والمدنية كالحروب
والعداوة والحسد وفطرة الانسان والحيوان على الغضب بل هذه
فى العالم ترقية له فمن ظن ان الحروب تبطل او الجدال والشكوك
فانما يريد خراب العالم او تقهقره واى بحث اهم من مبدع الكون
عليه يكون ارتقاء الامم وسعادتها

على أن الخلاف فى الاله اختلاف ظاهرى وعند التحقيق
فكل ذى روح مؤمن بموجود يسميه بحسب ماغلب عليه وما
يناسب فهمه فقال قد مثلت الناس باعضاء الجسم الواحد وان
لكل منهم عملا يؤديه وهو تمثيل مقبول فأرجو زيادة الايضاح
افقلت خاتمه

(مقارنه ترتيب حواس الانسان
ومراتب العلماء وطبقات الحيوانات وكيف
اتحد ذلك النظام فى هذه العوالم المختلفة
ودلالته على الله وبيان مذهب دروين)

مثل الناس على اختلاف أحوالهم فى الكون كمثل الحواس
الخمس فهم على الاجمال خمسة اقسام الاول كحاسة اللمس وهى
لا تحس الا بما يلامس فاما البعيد فلا علم لهابه ولو قيل لمن ليست
عنده هذه الحاسة فرضا ان اناسا يميزون بين الطعم الخبيث
والطيب بحاسة تسمى الذوق وأخرين يميزون بين ذى الرائحة
الخبيثة والطيبة بحاسة تسمى الشم وان كان المشموم بعيدا عنها
لانكر ذلك اشد الانكار وهكذا من عنده حاسة الذوق بالنسبة
للشم والسمع والبصر ومن عنده حاسة الشم بالنسبة للاخرين

ثم السميع بالنسبة للبصير والبصير للسميع ولعمرك لولا ان العميان
يعلمون بالتواتر أن الناس يبصرون لأنكروا وهكذا الصم البكم
لولا علمهم بالمشاهدة ان الناس يعلمون بالبصر ماغاب عنهم
ما صدقوا ولأنكروا هذه الحاسة وهذه الحواس لاتعرف
الا بالاجسام وهى مشتركة بين البهائم والانسان ولو رأينا
انسانا اقتصر على المحسوسات وأردنا افهامه ان هناك ادراكا
فوق الحواس الخمس لأنكره كمن ينكر الفلك وعلم الجغرافيا
وعلوم الحساب الدقيقة وغير ذلك ومن العجيب ان الحواس مرتبة
هكذا اللمس يغلب في اليدين ولا يعرف الا بالملاصقة وفوقه
الذوق الذى يميز الخبيث من الطيب من أحسن الملموسات فهو
فوق للمس مكانا ومكانة ومادة وفوقه حاسة الشم في المشموم
وهو أعلى مكانا ومكانة ومادة لطيفة فى الهواء بخلاف اللذين
قبله فمادتهما جامدة غير لطيفة وبعد ذلك السمع وهو أرقى مكانا
ومادته حركات فى الهواء فياعجبا لهذا الاتقان والحكمة البالغة
ويااليت شعرى كيف دل وضع المكان على المكانة والشرف
وكيف كان المسموع حركاته في الهواء وهى ألطف وأرق من
المشموم وهو اجزاء مادية فيه والشم أرقى من الذوق واللمس

وهما يلامسان نفس المذوق والملموس ولكن للذوق فضلا
بتمييزه بين مامس من المادة وهى المطعومات لا غير فكان
أعلى ثم فوق السمع البصر وليس المبصر مادة كالملموس والمذوق
ولا أجزاء لها كالشموم ولا حركات في الهواء اللطيف كالمسموع
وانما هى اضواء وانوار وهما أرقى وأجمل من جميع ذلك جاءت
لنا من الكواكب فانظر كيف وضع البصر أمام الرأس دلالة على
مكانته وعلو منزلته وشرفه وأنه يتعلق بما هو أرفع وأعلى وأجمل
وألطف وأرق وهو النور وهو آت من أرفع مكان وأجمله وهى
الكواكب التي ربما كان البعد بيننا وبين أحدها ملايين من
السنين بسير الضوء فما بالك بسير الهواء بل ما بالك بسير الانسان
واذا كان هذا هو شأن البصر وهو آلة جسدانيه وصلت الى
غاية فوق كل غاية وهى الأضواء اللطيفة التي ليست مادة بل
هى حركات في الاثير والأثير ألطف وأرق من المادة وأجمل
فحقك قل لى اذا كانت هذه صفة الأثير فما بالك بالحركات
فيه فهى ياسيدى أجمل وأرق وألطف وبالجملة فالنور عالم متوسط
بين المجردات والماديات وقد أدركته هذه العين الزجاجيه
الانسانيه لما بينها وبينه من المناسبة فما بالك بالعقل وهو فوق

السمع والبصر فى المكان فبالقياس عليهما يدرك ماهو مجرد عن
المادة وهو مدبر الكون والى ذلك الاشاره بقوله (لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وعدم ادراك
الابصار له لكونه ألطف من النور والابصار لا قوة لها الا على
النور المتوسط بين الماديات والمجردات وهو يدرك الابصار
لانه مجرد عن المادة وهو اللطيف يرجع الى الجملة الاولى الخبير
راجع الى الثانية لانه يعلم بواطن الاشياء فلذلك يدرك الابصار
وقوله وان الى ربك المنتهى ثم تأمل الى منشأ النور وهى
الكواكب كيف بعدت عنا جدا حتي أن كوكب القطب يبعد
عنا نحو ٥٠ سنه بسير النور فما بالك بمبدع الكون كيف يبعد
عنا رتبة ومكانة وشرفا وهذا الكوكب على عظمته يتراءى لنا
صغيرا في السماء فهكذا نحن لا نعرف من الله الا على قدر عقولنا
وما الانسان في الكون الاجرم صغير من اجرام لا تتناهي
نعيش زمنا قصيرا في ازمان لا تتناهى (وخلق الانسان ضعيفا)
وضعه نقطة في افلاك في لحظة من الدهر وعلى ذلك ترى القرآن
يصف الانسان كثيرا بالجهل فيقول (ولكن اكثر الناس لا
يعلمون)(ولكنكم كنتم لا تعلمون) (ان الانسان لظلوم كفار)

(انه كان ظلوما جهولا) (ويخلق مالا تعلمون) (قتل الانسان ماأكفره) (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون

وانت ان حققت ياسيدى تجد الناس يختلفون في المعارف كاختلاف الحواس والعقل فمنهم من قصر نظره على الطبيعيات وهي نافعة للحياة ولو سألته على الرياضيات لرأيته فيها جهولا كبارا ومنهم من يعرف الرياضيات ولو سئل عن الكيميا لرأيته جهولا كبيرا وربما انكره

فمثل الطبيعى كمثل من له حاسة اللمس والذوق ومثل الرياضى كمثل من له حاسة السمع والبصر فكل لا يعلم الا ما خلق له وكلاهما بالنسبة للعلم الالهى جهولا كالسميع والبصير بالنسبة للعاقل الحكيم واعلم ان من كان من هؤلاء اعلى يعرف الادنى ولا عكس والانسان وقد اوتى العقل مصدق بالمحسوسات بالحواس الخمس ولكن لو سألنا الديدان فى الارض وهى ليس لها الا حاسة اللمس عن السمع والبصر لانكرتها وهكذا الحيوانات التي تعيش فى الظلمة وهى بالطبع فاقدة حاسة البصر لو سألناها عن النور والابصار لانكرتهما وهكذا كل حيوان لا يعرف ما

هو فن الفلك مثلا ولا الفلسفة فقس على هذا احوال الناس فكل له عمل خاص به ينكر ما هو اعلى منه ويصدق ما هو اسفل ولذلك ترى العالم يعرف الجاهل ودرجته والجاهل يجهل العالم والعالم الكامل (وهو الحكيم) عرف جميع اللذات والجاهل وقف عند بعضها وجهل ما عداه وبالجملة فلكل من الناس درجته في المعرفة وعلم يناسبه ولا يجوز الاعتماد على العالم فى غير فنه كما لا يجوز معرفة المبصرات من حاسة السمع ولا الاصوات من حاسة البصر وبهم جميعا تتم الحياة ولا يمكن النظام في الكون الا بهذا الترتيب كما رأيت فى جسم الانسان من ترتيب الحواس درجة بعد اخرى فاللمس فى الذوق للملاصق والشم للبعيد والسمع لما هو ابعد والبصر فوق الجميع فيرى ابعد الكواكب التي تعجز عنها كل حاسة ونحن محتاجون لكل حاسة من هذه الحواس ومتي نقصت منا حاسة كان نقصا فينا فهكذا فليكن هذا الكون العظيم متي نقصت رتبة من رتب الانسان نقص المجموع تلك الرتبة فكان ناقصا وانت يا اخي اذا حققت هذا الذى اوضحته لك الآن عرفت انه لابد من خلق جميع الحيوانات ووضعها فى الكون مرتبة من اصغر مكروب الى الانسان بحيث لو فقدت

مرتبة واحدة كالديدان أو الاسماك لكان الكون ناقصا تلك المرتبة كما ينقص جسم الانسان بفقد حاسة اللمس مثلا وتأمل ياسيدى فى ذلك الخلاف الطويل العريض وقول القائل ان الحيوانات مشتق بعضها من بعض قول ليس عليه دليل والقائل بهذا القول بناه على وجود سلسلة الترقى وقد قلنا ان هذه السلسلة لابد منها في النظام والا كان الكون ناقصاً وكما ان حاسة اللمس لم تترق حتي تصير ذوقا وحاسة الذوق لم تترق حتي تصير سمعا وحاسة السمع لم تترق حتي تصير بصرا والبصر لم يترق حتي يصير عقلا بل كل حاسة لها مرتبة خاصة فى الجسم ولم تترق عن غيرها ولم يشتق منها غيرها فهكذا الحيوانات درجات بعضها فوق بعض لايجوز الاخلال بواحدة منهن فى الحكمة والنظام ولا يلزم ان يشتق بعضها من بعض ومجرد التناسق والتناسب والتلاحق في الوجود والترتيب والسلسلة لا يستلزم ذلك ونحن قد استطردنا لمسئلة دروين لمناسبتها فى هذا المقام اذ بين درجات الانسان فى العلوم والمعارف وسلسلة الحيوانات وحواس الانسان مناسبة بل الكون كله يناسب بعضه بعضا (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ويفضل بعض بعضا

﴿ برهان الوحدانية ﴾

فقال قد زالت عنى الشكوك فى جود الله فابرهان الوحدانيه فقلت كل شئ لايتم نظامه الا بالوحدة وهذه القضية نتيجة كل العلوم . وأيضاً كل انسان يرى الغيرة في نفسه على مايملكه وعلى العرض ويجزم أنها محمدة فيه واذا كان الله الموجد لهذه المحمدة والصفة العالية فكيف يعطى غيره مافقده هو وفاقد الشئ لايعطيه

وأيضاً قام البرهان على ان الاعداد لانهاية لها فاى عدد اولى من الآخر واذا تعارضت هذه الاعداد فالواحد هو المحقق وهو المطلوب

﴿ نصيحة ﴾

فان فهمت أيها الاخ ماقلته الآن واكتفيت واطمأنت نفسك فهو مقصودى والا فاقلع عن هذه الاسئلة واشتغل بالنافع تلاق في حياتك ماهو خير لك والا اضعت أوقاتك سدى بلا فائدة (وان ليس للانسان الا ماسعي وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفي) - واعلم انك اذا لاقيت ربك لم يسألك الا عن ضياع وقتك ومواهبك الجسمانية والروحانية فى مثل هذه الامور وغيرها فاياك ان يمر عليك وقت بلا فائدة ولا ثمرة (يوم تجد كل

نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) فرتب اوقاتك ووزع عليها الاعمال فما ـ ادت علينا الامم حولنا الا بذاك

واجعل نصب عينيك ثلاثة امور . اولا . تهذيب نفسك لتستعد للكمالات . الثانى . ان تحب جميع الناس وتعمل لمصالحهم اما علما واما عملا . والثالث لا تشتغل بمكافأتهم على السيئات فان وقتك انفس من هذا واعلى

فاحذر ان تمضيه الا بفائدة

﴿ تمت ﴾

﴿ قال الرئيس بن سينا في الاشارات ﴾

(ان هذا العلم ضحكة المغفل عبرة المتبصر)

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
لازالة	لازال	٦	٥
من	منه	١١	٥
الانعام	الانعام والبهائم	١٩	٩
مقو	مقوسة	٢٠	٢
مناقيرس	مناقير	٢٠	٢
وآكل	واكل	٢٠	١٥
افراد	افرادا	٢٧	٨
ثياب	ببابه	٣٠	١
فامل	فتأمل	٣٠	١٣
نجت	نبحت	٣١	٦
الهمة	الهرة	٣٢	٩
وربط	ربط	٣٩	٤
تناقص	تناقض	٤٠	٣
ويجدون	ويسجدون	٤٠	٩
بالمناقير	لها المناقير	٤١	٤
فقعل	فبفعل	٥١	٦١
جوف	فهم	٥٥	٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
اهم	منها فى المرغوب عنه كالمعاونة		
فى الاتحاد	(٠)	٦٢	١٦
المتمدنه	المتمدينة	٦٤	٥
والدو	والفدو	٦٦	١
ذا ستة ارجل	٠	٧٤	٩
انما	وانها	٧٨	٢
رجلها	ارجلها	٧٨	٢
تنشف	تنتف	٨٠	٤
ومدر	ومدرها	٨١	١
لنهجه	لنهمته	١٠٠	١٣
عم	غم	١٠٢	٦
تنظام	تنتظم	١٠٤	٤
سموات	السموات	١١٠	١٠
وكانت	كانت	١١٤	١٣
وان لا	وانه لا	١١٥	٨
لحكم	الحكم	١١٥	٩
تأف	فأف	١٢٨	١٧